

أخلاقيات المهن والحرف بين مصر وسوريا والعراق القديم ٠ د / فايزة محمود صقر*

مقدمة:

إن دراسة أخلاقيات الأعراف والتقاليد التي تنظم علاقات مجتمع ما فيما بينهم أو مع الدولة هي خير معين على الإلمام بمستوى تطور هذا المجتمع، ومن ثم نخلص على وجه التقريب إلى معرفة المبادئ العامة التي وجهت التطور الاجتماعي. وهذه الفلسفة الحقوقية الأساسية أكثر أهمية من معرفة كبرى القضايا التي نظرت على امتداد تاريخ الشعوب القديمة^(١).

كانت عادات الشعوب وأخلاقها وتقاليدها الدينية نبعاً يُشيطر على ذهن المُشرِّع كما يتضح للمؤرخين:

"إن أحسن القوانين توجد في قلوب الناس قبل أن توجد في التشريعات" (٢).

ومن أبرز العادات عند قدماء المصريين حتمية حصول كل ذي حق على حقه، وهذا سبب ازدهار حضارتهم. وتصوّر قصة القروي الفصيح أكثر من جانب من جوانب الحياة في عصرها، فصوّرت لؤم الموظفين، وسوء استغلالهم لسلطتهم، وتستر بعضهم على البعض، ولكن المصري القديم لم يَأب أن يُصوّر إلى جانبهم موظفين آخرين يتقبلون الشكاية والمظالم ويودون إزالة أسبابها، ولم يَأب الملك أن يَصور ملكاً يستعذب فصاحة قروي من رعاياه ويتمنى أن يستزيد منها ثم يأمر بالإحسان إليه في عاصمته دون أن يعرف من هو المُحسن عليه، ودون أن يشعر بفضل أحد عليه، فضلاً عن الإحسان لأسرته في قريتها والتكفل برزقها.

وقد عنيت التشريعات العراقية القديمة بأمور المعاملات وتحديد أجور المهن المختلفة، فتوسعت فيما تضمنت تشريعات 'إشنونا' و 'إسين' بالنسبة لأجور العمال والمزارعين، وشروط المشاركة في الزراعة والتجارة وتربية الأغنام والمواشي وتعويضاتها، وأجور المراكب تبعاً لحمولتها، وأجور حيوانات النقل والزراعة، وأجور النساجين وصانعي الجلود والحُلي والبنائين وغيرهم، كما حددت أجور الأطباء مع مراعاة الحالة الطبقيّة والاقتصادية للمرضى^(٣).

كما أن صانع السفن كان يتحمل مسؤولية خاصة، فإذا لم يكن عمله جيداً وصارت السفينة غير متماسكة كان عليه تفكيكها وإعادة بنائها على حسابه الخاص:

* أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم المساعد - كلية الآداب جامعة الإسكندرية - فرع دمنهور.

١ جون ويلسون، الحضارة المصرية القديمة، ترجمة أحمد فخري (القاهرة، ١٩٥٥)، ص ١٤٥-١٤٦.

٢ عبد الرحيم صدقي، القانون الجنائي عند الفراعنة (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ١٠.

٣ عبد الحكيم الذنون، التشريعات البابلية (دمشق، ١٩٩٢)، ص ٦٩.

"التاجر الذي يستأجر سفينة ويؤدي إلى الإضرار بها بسبب إهمال ما فعله تعويض صاحب السفينة، وإذا استخدم السفينة في نقل الحبوب أو الزيت أو التمر وأصيبت بشرخ فهو المسئول عن السفينة".

وإمكاننا القول بأن أغلب أخلاقيات التشريعات كانت راقية ومنطقية يتقبلها المنطق في كل عصر، وأحياناً يبدو بعضها سابق لعصرها، على الرغم من ورود أحكاماً أخرى يصعب علينا قبولها إلا بمنطق ظروف الحياة والمجتمع في عصرها^(٤).

الحرف والمهنة في مصر القديمة:

لقد اصطبغ السلوك الاجتماعي وإدراك الفرق بين الحق والباطل لدى المصري القديم بالمعتقدات الدينية وتقديس الأرباب. فقد كانت المعبودة "ماعت" التي تُعد تجسيدا للحقيقة وتناغم وتناسق النظام الكوني المتكامل، هي بؤرة الأخلاقيات في مصر القديمة وحلقة الوصل بين النظام الكوني والنظام البشري، وليس أدلّ على ذلك مما أتى في "السير الذاتية النموذجية" عندما يُقرُّ صاحبها: "أدبت الماعت لصالح سيدي،، قلت الماعت وطبقت الماعت،" بما يتطلبه ذلك من فعل الخير للجميع دون تفرقة -وبخاصة المعوزين منهم (الجائع، العريان، الفقير، اليتيم، ...) - فمثلاً من حكم "بتاح حنّب" يقول: "إنّا كنت قائد تعطي أوامر لعدد من الرجال، فأبحث عن المناسبات التي تُمكنك فعل ما فيه الخير؛ بحيث يكون سلوكك لا غبار عليه ...". كانت ريشة "ماعت" توضع في كفة الميزان التي تقابل الكفة الأخرى التي تحمل قلب المتوفى. كما أن الاعترافات السلبية (Negative Confession) والتي أسماها "يان أسمان" بـ "إعلان البراءة" (الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى) - وهي قائمة بالخطايا التي لم يرتكبها المتوفى - جعله ينال في العالم الآخر لقب المبرأ (فماعت مصر القديمة هي ما نعرفه اليوم تحت مسمى الدين والحكمة والأخلاقيات والشرع)^(٥)، وأيضاً جاء من ضمن تلك الاعترافات: "لم استول على ممتلكات أي شخص. لم أتفوه بالسيئ من القول عن أي شخص إلى الملك أو إلى الحاكم، لأنني رغبت أن أشرف أمام المعبود. لم ارتكب الشر لأي إنسان"^(٦).

وتعدّ التعاليم من أهم سمات أدب الحكمة (sebajt) والتي سجّلت على برديات تمتد منذ عصر الدولة القديمة حتى العصر الروماني (٣٩٥م)، وتعدّ سجلاً يصف القيم والأخلاقيات التي يتصف بها المصري، سواء في الحياة الدنيا أو في العالم الآخر. ومنذ الألف الثاني قبل الميلاد، أصبحت التعاليم تُعنى بالفضائل التي تقدم الطاعة للمعبودات أكثر من تقديم نموذج للنجاح في الحياة^(٧).

^٤ أحمد سليم، حضارة العراق القديم (الإسكندرية، ٢٠٠١)، ص ١٧.

^٥ راجع: يان أسمان، ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية، ترجمة د. زكية طبوزاده و د. عليّة شريف (القاهرة، ١٩٩٦)، خاصة ص ١١، ٢٠، ٣٥ وما بعدها، ٥٣، ٥٨، ٦٣ وما بعدها، ٧٨-٨١... الخ.

⁶ Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, vol. I (London, 1973), p. 156.

⁷ Shaw, I., and Nicholson, P., *British Museum Dictionary of Ancient Egypt* (London, 1995), p. 94; James, T. G. H., *Pharaoh's People* (Oxford, 1984), pp. 73-99; Strouhal, E., *Life in Ancient Egypt* (Cambridge, 1992), pp. 31-34.

وأقدم مصدر للقيم الأخلاقية يرجع إلى عصر لأسرة الخامسة (٢٥١٠-٢٣٧٤ ق.م) لأحد الموظفين يُدعى "نفر-سشم-رع" إذ يذكر: "لقد تركت مدينتي، وقد تركت إقليمي، فمت بالعمل الطيب الصحيح (ماعت) من أجل المعبود وأرضيته بما يُحبه،

لقد تكلمت الماعت، وفعلت الماعت، تفوهت بالطيب وأخبرته، أنقذت الضعيف من يد الأقوى قدر استطاعتي، أعطيت خبزاً للجائع، وملبساً (للعاري)، ومرسى ومركباً للذي لا يملك مركب، دفنت كل من ليس له ابناً، صنعت زورق للذي لا يملك زورق، بجلت أبي وأسعدت أمي، وربيت الأبناء" (٨).

الحرف والمهن في الأدب الحكمي المصري القديم:

بردية إيبوور:

"انتبه! لقد أصبح من لا يملك شيئاً ثرياً. انتبه! السيدات النبيلات (الآن يرحلن) على زوارق (خشب متهاك). انتبه! لقد سرقت المكاتب، ونهبت السجلات. انتبه! لقد ألقيت القوانين، والرجال يدسونها في الشوارع. المتسولون سيكون في الأزقة. انتبه! القاعة الكبرى تم اغتصابها" (٩).

قصة القروي الفصيح (١٠):

ألفها أديب في العصر الأهناسي أو فيما بعده بقليل ليصوغ بها ما هو كان فعلا في عصره من أوضاع الحكم والإدارة، ويعقب عليها بما كان يرجو أن يود عصره من أوضاع مستحبة بين الحكام والمحكومين.

وتروى القصة أن قرويا يسمى "خون إنبو" خرج من بلدة تسمى "غيط الملح" - نواحي الفيوم- وترك فيها زوجته "مارية" وأولادها وجانبها مما يدخره من غلال، وحمل حميره نظرون وأعشاب وجلود وأحجار شبه كريمة للتجارة بها في أهناسيا عاصمة الملك في عهده. ومر في طريقه على قرية تسمى "برفيي" كان يتولى أمرها موظف يدعى "جوتي نخت" نيابة عن موظف آخر كبير كان يرأس نظارة الخاصة الملكية ويدعى "دنس بن مرو"، وطمع "جوتي نخت" في تجارة القروي وحميره وأراد أن يكون له نصيب منها، وتفتق ذهنه عن حيلة خبيثة فاعترضه على طريق زراعي ضيق كان لا بد له أن يمر عليه وأوعز إلى خادمه أن يبسط على الطريق قماشاً يغطيه بالعرض، ولما تقدم القروي من الطريق نهاه "جوتي نخت" أن يمر على قماشه المبسوط، فاعتذر القروي بأنه كان حسن النية فيما أقدم عليه، وابتعد عن القماش وسار قرب الزراعة فنهره "جوتي نخت" مرة أخرى وفجأة قضم أحد حمير القروي قضمة من سنابل الغلال فاعتبرها "جوتي نخت" فرصته، وأصر على أن يستولى على الحمار

⁸ Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, vol. I, p. 17; Otto, E., "Ethik", in: *Lj II*, cols. 34-39; Ckingo, B., "Ethics and Morality", in: Redford, D., *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, AUC (Cairo, 2001), vol. I, pp. 484-487.

⁹ Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, vol. I, p. 155.

^{١٠} سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، مكتبة الأسرة (٢٠٠٠)، الجزء ١٧، ص ٥٤-٥٩.

جزاء جرمه،^(١١) فاحتج القروي وهدد بإبلاغ الأمر إلى ناظر الخاصة وصاحب الأرض فغضب "جحوتي نخت" وأخذته العزة بالإثم واستولى على بضاعة الرجل وحميره كلها وولول القروي واشتد عويله، فنهزه "جحوتي نخت" في صفاقة غريبة قائلاً له:

"لا ترفع صوتك يا فلاح، أنت قريب من بلد رب السكون" وكان رب السكون هذا المعبود "أوزير"، ويبدو أنه كانت له مقبرة بالقرب من "برفيقي" يهابه الناس ويحترمون".
لكن القروي لم يهتم به وقال بلهجته الريفية اللطيفة:

"لا تضربني وتنهب متاعي، وتوقف الشكوى على لساني، يا رب السكون أعطني إذن حاجتي حتى أبطل الصراخ الذي يقلقك".

واستمر القروي طيلة أيام يشكو حيناً ويسترحم حيناً آخر ولكن بغير طائل، فاتخذ سبيله إلى العاصمة أهناسيا ليشكو إلى ناظر الخاصة "رنس"، وقابله ذات صباح وهو في طريقه من داره إلى النهر ليستقبل قارب المحكمة، ورجاه أن يرسل معه تابعاً من عنده حتى يعهد إليه بقصته، ورجع التابع بنص القصة إلى رئيسه، فعرضها "رنس" على من كانوا بصحبته من الموظفين فهونوا الأمر عليه وانحازوا إلى جانب زميلهم "جحوتي نخت" وعز عليهم أن يعاقب من أجل فلاح، وحاولوا أن يشككوا رئيسهم في صحة الدعوى ولكن "رنس" أسر أمراً في نفسه.

واستتباً القروي رد "رنس" فوجه إليه استعطافاً رقيقاً لينا علّه يستثير نخوته وكان من قوله: "إذا كنت حقا أبا لليتيم، وزوجاً للأرامل، وأخاً للمنبوذ فشحجني على أن أنشر سمعتك في هذه الأرض بما يتفق مع القانون الصحيح، وحين تكون حاكماً بريناً من الجشع، ونبيلاً منزهاً عن الدنيا وتزهق الباطل وتحقق الحق وتبلى نداءه- وهانذا أقول وأنت تسمع، أقم العدل أمدحك ويمدحك المادحون- أزل كربى واحمنى".

وفعل استعطاف القروي لدى ناظر الخاصة أو على الأصح فعل مديحه فعله لديه، فأعجب به وأسرع إلى ملكه وهو يقول:

"مولاي وجدت واحداً من أولئك القرويين جيد الكلم يتحدث بالصواب نهب متاعه وأتاني (حماري الصغير) يتظلم إلي".

وقص قصته على الملك المصري، فرد عليه الملك بقوله: "استحلفك بحق ما تحب أن تراني معافى، أن تؤخره ها هنا، ولا تعقب على شئ بقوله، عساه يواصل الحديث، ثم يؤتى إلينا بحديثه مكتوباً فتسمعه بشرط أن تتكفل برزق زوجته وعياله فالقروي من هؤلاء القرويين يأتينا عادة بعد إملاق، وعليك كذلك أن تتكفل معاشه- طيلة بقائه هنا- بشرط أن تصرف له (رزقه) دون أن تشعره بأنك أنت معطيه".

وعمل ناظر الخاصة بتوجيهات ملكه، فتغافل عن الرد على "خون أنبو" وظن هذا أنه أهمله فتحول من الاستعطاف إلى الشكاية ثم إلى الشراسة وتحول من لين الحديث إلى العنف والنقد الصريح، وتوجه إلى "رنس" بثمان شكايات متتابعة بعد استعطافه الأول لم يسلم حين قدمها من الأذى وضرب الحجاب وإهانة الحراس ولكنه لم يتخل عن

^{١١} عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر والعراق (القاهرة، ١٩٨٢)، ٣٦٦.

عناده، واستمر يصر على سماع صوته للحاكم ولو ناله الضرب والأذى وعمل على أن يصور في هذه الشكايات مبادئ العدالة الاجتماعية والسياسية والقانونية التي كان يطمح فيها المفكرون في عصره.

تصور "خون إنبو" أن الحاكم يشبه دفة السفينة التي تحدد مسيرتها، ويشبه السند الذي يعتمد الناس عليه، ويشبه خيط الميزان في دقة تعبيره عن وزن الأمور، فقال لناظر الخاصة وهو يشكو إلى نفسه:

"أيها الدفة لا تحترف ويا أيها السند لا تميل، ويا أيها الخيط لا تتذبذب..."
"لقد انفلت العدل من تحتك وأقصى عن موضعه، والموظفون يشاغبون والموعظة الحسنة أهملت وهامم القضاة يتخاطبون ما سلب منى..."
وقال في تشبيه لطيف وتجسيم للصورة:

"ها أنت رئيسك وبيدك الميزان، إذا اختل التوازن فأنت مختل ولسانك هو اسانه الصغير، وقلبك ضجته، وشفتاك قبة، فإذا سترت وجهك عمن يضغن، فمن يرفع العار؟!"
وقال في شكاية طريفة الأسلوب بليغة المعنى وهو يحضه على العدل:

"أقم العدل لرب العدل الذي عدل عدالته موجود، ويا قلم جحوتي وقراطسه ولوحته، تنزهوا عن عمل السوء، فإنما الخير بالخير والحسنى لها ما هو أحسن منها، والعدل باق إلى الأبد يهبط مع صاحبه إلى الجبانة، فإذا دفن احتوته الأرض معه، ولن تزول سمعته من هذه الدنيا، ولسوف يذكر بالخير وهذا هم خير ما في أقوال المعبود... فمن يكون سندا لا ينبغي له أن يميل، ومن يكن ميزانا لا ينبغي له أن يتذبذب. وسواء جئت أنا أم أتى غيري، وجب عليك أن تتحدث ولا تنعت هكذا إلى كما لو كنت أحداثت شخصا أحرص... إنك لا تلين ولا تضعف...، وما جازيتي على أحاديث اللسان التي صدرت عن فم الإله رع نفسه، قل الحق إذا وافعل الصواب فالعدل عظيم خالد..."

ولم يكتف القروي بالنصيحة والحديث عن واجبات الحكام، وإنما أخذ يشتد على ناظر الخاصة ويعنفه، وكان من قوله له:

"إنك قادر ومقتدر، وذراعك طائلة، ولكن فؤادك قاس، والرحمة قد تجاوزتك، فما أتعس المحزون الذي تحطمه، ولكأنك رسول لمعبود التمساح، بل إنك زدت عن المعبود الوباء، وإذا كان العدم يرتجى منها، ارتجى منك العدم..."

وترتب على عنف القروي في حديثه أن أمر "رنس" بضربه بالسياط ولكنه لم يرتدع، وقال بعد ضربه:

"ضل ابن مرو طريقه، وعمى وجهه عما يراه وأصيب بالصمم عما يسمعه، وضل ضميره عما يذكر به، إنك أشبه بقرية بغير عمدة، وجماعة لا كبير لها ومركب لا ربان فيها، وعصية لا هادي لها. أنت نبيل نهاب، وحاكم مرتش، وكبير لمنطقة كان ينبغي أن يمنع الاختلاس ولكنه أصبح نموذجاً لمن يود أن يختلس..."

وزاد "خون انبو" فعرض خلال شكواه لناظر الخاصة بالصفات التي كانت تنسب عادة إلى الملك ولو أنه لم يذكر الملك صراحة، فقال:

"أنت رع معبود السماء وسط حاشيتك ومنك قوام الخلق جميعهم وأنت كالفيضان، بل أنت حبي صاحب الفيضان الذي يسع الخضرة على الحقول ويعمر البراري، فاقطع إذا دابر الذهب وأوقفه وأكرم البائس، ولا تكن فيضانا تأخذ الشاكي، واحذر قرب الآخرة".^{١٠}

وأطال القروي في شكايته، ولما فرغ معينه منها استدعاه ناظر الخاصة، فتوقع الرجل أن تكون دعواه لمقتله، وأخذ يروض نفسه على ملاقة الموت في شجاعة. وأخيرا نسخت شكاواه على برديات جديدة أعدت للعرض على الملك حتى يقضى فيها، وانتهت بأن قضى بتجريد "جوتي نخت" من ممتلكاته، ووهبها الملك كلها للقروي فضلا عن حميره وبضاعته.

ومن هذه القصة يمكن أن نستنتج ما ينزل بالموظف الذي يطمع في ممتلكات الغير وهي تجريده من أملاكه كما يتضح لنا ذلك من خلل قصة القروي الفصيح^(١٢).

وبعض النظر عن لتفاصيل العناصر السابقة من قصة القروي الفصيح، يتضح من نصها التركيز على (الماعت) دون الالتفات إلى الحاكم، "اصنع الماعت من أجل المعبودة ماعت"، بما فيه من إشارة إلى أن الملك-الإله كان سبباً في انهيار الملكية في نهاية عصر الدولة القديمة رغم استمرارية دور الملك زمن الدولة الوسطى كمرکز للسلطة المتمثلة في الماعت^(١٣).

تعاليم بتاح حتب: (١٤)

كان المصري عندما يشعر بدنو أجله يكتب وصيته فيقسم أملاكه، وغالبا ما كان ينقش صورة من هذه الوصية على جدران مقبرته. وأحيانا كان يخلف لإبنه الأكبر نصائح وتعاليم عن تجاربه في الحياة وفي وظيفته لتكون عوناً لأداء عمله الحكومي. ومن أقدم من خلف لإبنه نصائح من هذا النوع هو "بتاح حتب" وزير الملك "إسيسي" (٢٦٧٠ ق.م) وقبره في سقارة حتى الآن، ومن نصائحه التي تعبر عن أخلاقيات مهنته نذكر بعضاً منها: "لاتكونن متكبرا بسبب معرفتك، ولا تكونن منتفخ الأوداج، لأنك رجل عالم، فشاور الجاهل العاقل، لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها، وليس هناك عالم مسيطر على فنه تماما. وإن الكلام الحسن أكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم، ومع ذلك فإنه يوجد الإماء اللاتي يعملن في إدارة أحجار الطواحين".

وقد خصص الناصح جزءا كبيرا من حكمه لبيان الطرق السديدة الموصلة إلى حسن سير الأعمال فقال: "إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضع، فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة، واحترمه حسيما وصل إليه، لأن الثمرة لا تأتي عفوا، ولا تعيدن قط كلمات حمقاء خرجت من غيرك في ساعة غضب. التزم الصمت فإن هذا أحسن من أزهار (تفتف). وتكلم فقط إذا كنت تعلم بأنك ستحل المعضلات. وإن الذي يتكلم في المحفل لمفتن (يعنى في الكلام)، وصناعته الكلام أصعب من أي حرفة أخرى".

^{١٢} فايزة صقر، الكتابة في مصر القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة الإسكندرية، ١٩٨٤)، ص ١١.

¹³ Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, vol. I, p. 155.

^{١٤} أحمد فخري، تاريخ الحضارية المصرية (القاهرة، ١٩٥٥)، ص ٤٣٥.

وفضلا عما تقدم فقد رأى أن حياة الموظف المدنية محفوفة بالمخاطر، ولذلك يقول ناصحا: "احترس من الأيام التي يمكن أن يأتي بها المستقبل".

وعن الحق والعدالة يقول: "إذا كنت حاكما فكن شفيقا حينما تسمع كلام المتظلم، ولا تسيء معاملته إلى أن يغسل بطنه، وإلى أن يقول من أجله ... وإنها لفضيلة للقلب أن يستمع مشفقا". "أقم العدل (ماعت) وعامل الجميع بالعدالة (ماعت)" (١٥).

ويتناول "بتاح حنب" أخلاق الإنسان وسلوكه، ويلاحظ بوجه عام أن تلك الحكم ترشد إلى اللطف والاعتدال والحزم الذي يصحبه الثبوت، فهي بذلك تتم عن تقديره للأمر ووزنها بالميزان الصحيح عند توصيته باتباعها والسير على نهجها.

تعاليم كاجمنى: (١٦)

وهو جزء صغير محفوظ مع تعاليم "بتاح حنب" في "ورقة بارس" ومن المحتمل أن الجزء المفقود قد ذكر فيه أن الملك "حونى" الذى ينسب حكمه لأواخر الأسرة الثالثة قد أمر وزيره بأن يفرغ تجارب حياته في كتاب ليكون مواظ لأبنائه، ومن بينهم وزير يدعى "كاجمنى" ونذكر بعضا من أقواله: "..... والمتواضع يبقى صحيحا، ومن يستقم فى معاملته يمدح، وتفتح الخيمة للمتواضع، والحذر فى كلامه يفسح له مكان رحب، ولكن السكين ترهف لمن يحيد عن الصراط". "لا تكونن فخورا بقوتك بين من هم فى سنك، واحذر من أى فرد يغالبك (?)، لأن الإنسان لا يعرف ماذا يكون حظه، وما يفعله الله عندما ينزل العقاب". (١٧)

تعاليم مريكارع: (١٨)

هذه الوثيقة تنسب لملك من الأسرة العاشرة لم يعرف اسمه بعد على وجه التحقيق، وقد كتبها لإبنه "مريكارع" فى آخر لحظات حياته. وتلك الوثيقة مدونة على بردية محفوظة الآن بمتحف "ليننجراد"، وهى تحمل بين سطورها أدلة قاطعة على أنها كتبت فى العصر التى نسبت إليه من ملك عاصمة ملكه هيراكليوبوليس "أهناس المدينة". (١٩) ويتحدث هذا الملك العظيم عن أمور كثيرة، ومنها على سبيل المثال عن الحكيم فيقول: "إن الصدق "ماعت" يأتى إليه مختمرا حسبما كان عليه الأجداد، فعليك إذن أن تقلد أجدادك. وتأمل ! إن كلماتهم مدونة فى المخطوطات فافتحها لتقرأها وقلد معرفتهم، وبتلك الطريقة يصير صاحب الصناعة على علم". ويحض الوالد ابنه فى وصيته التى تعد من أنبل ما جاد به التفكير الخلقى على أن يحفظ فى ذهنه: "إن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور (يقدم قربانا) من الرجل الظالم". "أقم العدل لتوطد مكانتك فوق الأرض، وواس الحزين ولا تعذب الأرملة، ولا تحرم رجل ميراث والده، ولا تضرن الأشراف فى الأشراف فى مراكزهم، ولا تتول العقاب (أى بنفسك)، فإن ذلك لا يرفعك، ولكن توله بالجلادين من غير إشراف، وبذلك تستتب الأرض

^{١٥} سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء ١٧، ص ١٧٦-١٨٧.

^{١٦} سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء ١٧، ص ١٨٨.

^{١٧} أحمد فخري، تاريخ الحضارية المصرية، ص ٤٣٥.

^{١٨} فايزة صقر، الكتبة فى مصر القديمة، رسالة ماجستير، ص ١٠٣.

^{١٩} فايزة صقر، الكتبة فى مصر القديمة، رسالة ماجستير، ص ١٠٨.

..... والله عليم بالرجل الثائر، والله يجارى عسفه بالدم ولا تقتلن رجلا تعرف قدره، وتكون قد جودت معه الكتابة (أى كنت معه تلميذاً فى المدرسة)".

ويرى الملك الصالح أن الحياة الصالحة فوق الأرض هى العماد الأعظم الذى ترتكز عليه الحياة الأخروية فيقول: " إن الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ولا تحيد فى مسيرها عن طريق أمسها". وقد كان القبر فى نظره فى الوقت نفسه من الأشياء الهامة حيث يقول: "زين مثواك (أى قيرك) الذى فى الغرب، وجمل مكانك فى الجبانة بصفتك رجلا مستقيماً مقيماً للعدالة، لأن ذلك الشئ الذى تركز إليه قلوبهم (أى أهل الاستقامة)". ومن بين تلك التعاليم نصح للملك "مريكارع" بكيفية معاملة موظفيه الملكيين قائلاً: "اصنع طيب لموظفيك، كي يحافظوا على قوانينك. فصاحب ... الذى لا يمكن أن يتحيز، الرجل الذى يملك هو الذى لا ينتقص. (بينما) الرجل الفقير لا ينطق عدلاً، والذى يقول: هل هذا ما أملكه؟ ليس مستقيماً .. إنه متحيز لنفسه التى يحبها، مفضلاً الذى يقدم له الرشوة" (٢٠).

تعاليم خيتى بن دواوف لابنه بيبى: (٢١)

اسم كاتبها هو "خيتى بن دواوف" وقد كتبها لابنه "بيبى". وقد وصلت نسخ كثيرة من هذه التعاليم بعضها على أوراق بردية، وبعضها على لوحات خشبية، وفقرات على الخزف، وشظيات من الحجر الجيرى الأبيض الأملس، ويرجع عهداها إلى أوائل الأسرة الثامنة عشرة، وربما كان "خيتى" هذا هو الذى كتب تعاليم الملك "أمنمحات الاول" إلى ابنه سنوسرت الأول. وهذا يشير إلى شعبية أدب "خيتى بن دواوف".

ونجد أن أول ما يُلقى "خيتى" على ابنه من النصائح أن صناعة الكتابة تفوق كل الحرف، وأنه لو تعلمها فان القوم يهنتونه على ذلك. (٢٢)

" لقد رأيت من ضرب ، فعليك ان توجه قلبك لقراءة الكتب ، ولقد شاهدت من اعتق من الاشغال الشاقة . تأمل ! لا شئ يفوق الكتب". اقرأ فى نهاية " كمت " (لعله اسم كتاب قديم ؟) تجد فيه هذه : ان الكاتب عمله فى كل مكان فى حاضرة الملك ولن يكون فقيراً . والرجل الذى يعمل على حسب عقل غيره لا ينجح . ليتنى اجعلك تحب الكتب اكثر من والدتك . وليت فى مقدورى ان اظهر جمالها امام وجهك . انها اعظم من اى حرفة واذا أخذ (التلميذ) فى سبيل النجاح وهو لم يزل طفلاً فان الناس تهنئه ، ويكلف تنفيذ الاوامر ، ولا يعود الى البيت ليرتدى ثوب العمل (مثل ارباب الحرف الاخرى) .

بعد ذلك يصف الاب لابنه الفرق بين مهنة الكاتب وما ينال صاحبها من الشرف وبين المهن الاخرى التى يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض محترفها للاخطار فيقول: "على اننى لم ار قط قاطع احجار كلف برسالة ولا صانعا ارسل فى مهمة". ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب وحقاره بالنسبة لمهنة الكتابة".

²⁰ Gardiner, A.H., "New Literary Works from Ancient Egypt", in: *JEA* (1914), I, pp. 20-23; Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, vol. I, p. 100.

²¹ Erman, A., *The Literature of Ancient Egyptian*, Trans. By M.A. Blackman, (London, 1927), p. 67.

^{٢٢} نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ج ٤، الحضارة المصرية (الإسكندرية، ١٩٦٦)، ص ١٣-١٥.

فبتكلم اولا عن صانع المعادن فيقول : " ولكنى رأيت النحاس يقوم بعمله عند فوهة الاتون واصابعه كجلد التمساح (اي انها مجمدة وخشنة كجلد التمساح) ورائحته اكثر كراهية من البيض والسمك".

ثم ينتقل الى الخراط فيقول : " وكل صانع يقبض بمهارة على المخرطة (؟) فان الاعياء يناله اكثر ممن يفلح الارض، وميدانه الخشب وفأسه المخرطة (حرفيا المعدن) وفي الليل حينما يطلق سراحه يعمل فوق طاقة ساعديه. وفي الليل يشعل النور " (أي يستمر عمله فلا راحة له).^(٢٣)

ثم ينتقل الى الكلام على البناء وما يناله من التعب الجثماني فيقول : " والبناء يبحث عن عمل له (؟) في كل انواع الاحجار الصلبة . وعندما ينتهي منه تكون ذراعه قد تكسرتا ، ويصبح مضنى ، وعندما يجلس امرؤ كهذا عند الغبش فان فخذيه وظهره تكون قد تحطمت " .

بعد ذلك يتناول حرفة الحلاق فيظهر لابنه انها مضنية ، صاحبها لا يبد ان يجول في الشوارع لبيحث عن عمل يسد رمقه بما يكسبه منه فنراه يقول : " والحلاق يحلق متأخرا الى الغروب ويجول من شارع الى شارع لبيحث عن يحلق له ، وينهك زراعه لاجل ملء بطنه ، كالنحلة التي تأكل وهي تكد" .

وكذلك يظهر له المتاعب التي يلاقيها التاجر (؟) الجوال ليحصل على ثمن سلعه فيقول : " والتاجر(؟) يسبح الى الدلتا ليحصل على ثمن سلعته ، ويكد فوق طاقة ساعديه ، والبعض يقتله (لما يحمله من الجرائم)..... "

ويتناول بعد ذلك احقر الحرف وهي صناعة الطوب اللبن فيقول : " وصانع اللبن (ضرب الطوب) الصغير الذي يصنعه من غرين النيل يقضى حياته بين الماشية (؟) وهو على اى حال مختص بالكروم والخنازير (في المصرية تورية بين كلمة كروم وخنازير ، وربما كان ذلك هو السبب في ذكرها هنا) وملابسه تكون خشنة وهو يعمل بقدميه ويدق "

والظاهر ان حرفة البناء كانت شاقة عند المصريين ، حتى ان حكيمنا هنا قد رصد لها فقرتين غير ما ذكر ، ولكن الفقرة الثانية فيها بعض الغموض فيقول :

" دعنى احدثك فضلا عن ذلك عن البناء الذى يكون غالبا مريضاً (؟) وملابسه فذرة وما يأكله هو خبز اصابعه، ويغسل نفسه مرة واحدة وهو اتعس مما يكون ان يتحدث عنه الانسان بحق (؟) . فهو كقطعة حجر (؟) فى غرفة طولها عشر أذرع فى ست والخبز يقدمه الى بيته ، واطفاله يضربون ضربا ... " وهذه العبارة تشير إلى مشقة وعناء صاحب هذه المهنة .

ثم يصف الحكيم لابنه حال البستاني . ويظهر انه يقصد به زارع الخضر والفاكهة على السواء فيقول : " اما البستاني فيحمل اثقالا وذراعه ورقبته تتألمان من تحتها . وفى الصباح يروى الكراث وفى المساء الكروم (لان ذلك احسن وقت لريها عندما تكون محملة بالفاكهة) فحرفته أسوأ من أية حرفة . "

ثم ينتقل الى وصف حالة الفلاح ، وهو ذلك الوصف الذى ينطبق على حالة فلاح مصرنا ، فالامراض تفتك به وصاحب الاملاك يستنفد كل محصوله ، فهو كالحيوان

²³ Piankoff, "Quelques Passages des Instructions de Douaf sur une Tablette du Musee du Louvre", *Revue d' Egyptologie*, Tome II (1933), pp. 51-74.

الضعيف الذى يعيش بين الاسود فهو لايد مأكول . فيقول الحكيم : " أما الفلاح فحسابه مستمر (اى ان صاحب الارض يطالبه دائما بتأدية ما عليه من الديون) الى الابد ، وصوته اعلى من صوت الطائر " أبو " (دائما يشكو) ، وهو كذلك اكثر تعبا ممن يمكن التحذى به ، وحالته كحال الذى يعيش بين الاسود ، وهو فى غالب الاوقات مريض (؟) وعندما يعود الى بيته فى الغروب ، فان المشى يكون قد مزقه اربا اربا " (اى ان طول الطريق يجهدده اجهادا كبيرا فوق ما لاقى من التعب خلال اليوم) .

يتناول بعد ذلك " خيتى " النساج الذى يعمل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه بقعيدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائما ، فاذا تباطأ عن العمل يوما ضرب بالسوط . وفى رواية اخرى انتزع من مكان راحته كما تنتزع زهرة السوسن من البركة . واذا اراد ان يخرج من مصنعه ليستنشق الهواء فلا يصل الى ذلك الا بالرشوة . فيقول : " وحال النساج داخل مصنعه اتعس من حال المرأة ، فركبتاه تكونان فى بطنه ، وهو لا يمكنه ان يستنشق الهواء واذا امضى يوما دون عمل انتزع (من مكان راحته) مثل ما تنتزع زهرة السوسن (فى رواية اخرى فانه يضرب بسوط ذى ٥٠ شعبة) او (فانه يضري كسانمة الضحية ٥١ سوطا) . وهو يقدم لحارس الباب خبزا ليسمح له بالخروج فى ضوء النهار" . بعد ذلك يصف هذا الحكيم المحنك لابنه " حرفة " من الحرف التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، ولكنها قد اختفت فى عهدنا تدريجيا بانتشار المدنية ، واعنى بذلك صناعة " السهام " التى لم يفتأ يستعملها المصرى لانها كانت من اهم اسلحة الحرب ، فيصف كيف يحتم على صاحبها ان يذهب الى الصحارى والجبال حيث الظران الذى تصنع منه السهام ، وما فى ذلك من بعد المسافة ، وما يعانیه هو وحماره ، وما يستلزمه من المال لمن يرشده الى الطريق فى وسط تلك الفيافي والقفار ، وما يتطلبه كل ذلك من وقت ونصب فيقول : " وصانع السهام يكون تعسا عندما يرحل الى الصحراء ، وان ما يعطيه حماره لكثير . هذا فضلا عن انه عمل يستغرق وقتا طويلا . ويعطى كذلك الذين فى الحقول والذين يرشدونه الى الطريق كثيرا ايضا . وعندما يصل الى بيته فى المساء فان السير يكون قد انهكه " .

ثم يتناول بعد ذلك حرفة اخرى من التى اخذت تتلاشى فى مصر وان كانت لم تنزل باقية فى بعض الجهات المتطرفة التى لم تصلها المدنية الحديثة ، واعنى بها نقل البريد برجال خصصوا بذلك . فيصف لنا كيف ان عامل البريد عند ذهابه الى بلد اجنبى يترك وصيته خوفا من عدم عودته ، لما فى رحلته من المخاطر ، وحتى اذا عاد الى مصر ثانية فانه لا يعود مرتاح النفس ، لأن التعب يكون قد اضناه فيقول : " وحامل البريد عندما يسافر الى بلد اجنبى يوصى باملاكه لاولاده خوفا من الاسود والاسيويين ، وهو يعلم ذلك وهو فى مصر . وعندما يعود الى بيته يكون تعسا لان المشى قد كسره . وسواء اكان بيته من النسيج او اللين (؟) فانه لا يعود منشرح القلب" . (وفى رواية أخرى : " وعندما يصل الى بيته مساء فان قلبه يكون فرحاً " .)

ويعقب ذلك كلام على حرفة لم نصل الى كنه معناها ، والغرض من ذكرها هنا هو ان يظهر له بشاعة رائحة محترفها ، ولذلك سنورد الكلمة هنا باصلها المصرى : " اما الـ " ستوى " فان رائحة اصبعه تكون ننته ، والرائحة التى تتصاعد منها هى رائحة جثة ،

وعيناه تكونان مثل ... (٢) بسبب المسوح وهو لا يقصى عنه " سثاوى " وهو يقضى وقته في تقطيع الخرق (٢) وما يمقته هو الملابس " .

ثم يشفع ذلك بالتحدث عن حرفة يظهر انها تشبه السابقة في قدارتها ، واعنى بها حرفة الاسكاف . فيصغ الحكيم لابنه كيف ان هذا التعس يحمل اوانيه التي فيها الاته وجلده ، وكيف ان صحته تسوء وجسمه يهزل وقد يجبر على قطع الجلد باسنانه فيقول : " والاسكاف يحمل اوانيه الى الابد (وفي نسخة اخرى: يحمل آتاه الى الابد) . وصحته تكون كصحة الجيفة ، وما يعرض عليه هو الجلد " .

ثم يأتى بعد ذلك الكلام على حرفة الغسال وجازفة صاحبها بنفسه امام التمساح ، وما يلاقيه بسببها من تعب جثمانى ، وما يشعر به من تعس عندما يضع مئزر سيده ليؤدى فيه عمله فيقول : " والغسال يغسل على الموردة ، واذا ذلك يكون جاراً قريباً للتمساح (في صورة اله) وعندما يخرج الوالد (الغسال) متجهاً نحو الماء المضطرب فان ابنه وابنته يكونان في عمل هادئ منعزل عن كل عمل اخر ، وعندئذ يقول ابنه وابنته : ان هذا ليس بعمل يجد فيه الانسان راحة ، وهو منفصل عن اى عمل آخر . وغذاؤه يكون مختلطاً بمكان حساباته . وليس فيه عضو سليم . واذا ارتدى مئزر المرأة فانه وقتئذ يكون تعسا ، وهو يبكى حينما يمضى وقته حاملاً الـ " مكان " ويقال له--- " الغسيل " --- اسرع الى " .

ويعقب هذا بحرفة اخرى ليست من نوع الحرف السابقة ، بل هي حرفة لهو ، ولذلك يقول عنها انها تجعل صاحبها يهمل اعماله ، واعنى بها حرفة صيد الطيور ، فيقول : " وصادد الطيور تراه في منتهى التعاسة عندما يشاهد ما فى السماء ويهمل اعماله (وفي رواية اخرى : وعندما تطير الطيور المتقلبة فى السماء يقول : ليت عندى شبكة هنا . ولكن الله لا يهئ له نجاحاً (٢) " .

بعد ذلك ينتقل الى حرفة صيد السمك ، ويصف الحكيم لابنه ما فيها من اخطار التمساح ، فيقول : " انى مخبرك كيف ان حرفة صياد السمك اكثر تعاسة من اية حرفة اخرى . فانه يشكو منها . أليس عمله على النهر حيث يختلط بالتماسيح (٢) . واذا لم يقل له الانسان يوجد تماسيح فان خوفه يعميه " .

وهنا ينتقل الكاتب الحكيم الى اطراء حرفة الكتابة . فيقول: " ان صاحبها هو الذى يصدر الاوامر " .

ثم يصفها بانها احسن من كل الحرف التى استعرضها امامه فيقول : " فانه لا توجد حرفة من غير رئيس لها الا صناعة الكاتب فهو رئيس نفسه . فاذا عرف الانسان الكتب فانه يقال عنه بحق : انها مفيدة لك وما اقوم به فى سياحتى الى الحاضرة تأمل ! انى اقوم بها حبا فيك . ويوم فى المدرسة مفيد لك وما تعمله فيه يبقى مثل الجبال " .

نصائح أنى : (٢٤)

تعتبر نصائح "أنى" لابنه "خنسحتب" وثيقة تمثل أدب عصر الدولة الحديثة واللغة التى كتبت بها هذه النصائح يرجع تاريخها إلى بداية العصر الذى استعملت فيه هذه اللغة المصرية الجديدة وهو نهاية عصر الهكسوس، وفيما يختص بالحرف والمهن فقد ذكر

^{٢٤} سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء ١٧، ص ٢١٩-٢٣٠.

"أنى" موضوع المعرفة ومكانتها وسمو حرفة الكاتب إذ يقول: "إذا كنت ماهراً فى الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله . إذن خصص نفسك للكاتب وضعها فى لك، وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازاً، كل وظيفة يعين فيها الكاتب فإنه (لابد) يستشير فيها الكتب (وبذلك يلازمه النجاح) . فليس هناك ولد للمشرف على الخزانة ولا وارث للمشرف على الحصن... الوظائف لا أولاد لها..(وفى هذه الحالة يحصل عليها الأكفاء الذين تعلموا كثيراً)".

خطاب "كن كاتباً ولا تكن جندياً": (٢٥)

فى هذا النص إشارة إلى أن أخلاقيات مهنة العلماء لا وساطة فيها ولا فساد وإنما يحكمها فقط كفاءة صاحبها الذى يتمتع بصفات الباحث الذى دأب على البحث فى الكتب .

"تعال ودعنى أصف لك حالة الجندى ذلك الفرد الذى يعذب كثيراً يوم أن تدعى طيبة لإقامة الأفراح فى الهواء الرطب فى الشهر الثانى من الشتاء، فالمرء (أى الجندى) يكون فى موقف مؤلم عندما يتعرّض فى طريقه من غير حذاء، والحلفاء تعوق طريقه، والحشاش تكون كثيفة متشابكة، والأعشاب منيعة، والضباط من خلفهم بالعصى، ويضربون ثم يضربون، ويكون عطشان . على أن شرب الماء لا يتغلب على القيظ والعرق، وذلك فى وقت ظهور الملك بفخامته فى أول يوم الاحتفال بالتتويج، وهو اليوم الذى تؤذن فيه "عين شمس" بإقامة الأعياد . تعال ودعنى أخبرك بنزوله (أى الجندى) إلى سوريا ومشيه على قمم التلال . وخبزه وماؤه على كتفيه مثل حمل الحمار، وهو يشرب الماء الآسن، ولا يقف عن السير إلا وقت الحراسة بالليل، فهل أنت حمار سيسوقه الإنسان؟ هل الجسم خلو من الفهم؟ اعتنق الحرفة التى يحترفها الحكام، وإن أدوات كتابتك تغدق عليك السرور والثراء ويكون قلبك فرحاً كل يوم . فافطن لذلك".

أخلاقيات الوزير .. خطاب تنصيب الوزير "رخ-مي-رع":

ومن أكثر النصوص وضوحاً حول أخلاقيات المهن والوظائف فى مصر القديمة، هو نص خطاب تنصيب "رخ-مي-رع" منصب الوزارة من قبل الملك "جحتي-مس الثالث" (٢٦) والمسجل بمقبرة "رخ-مي-رع" (رقم ١٠٠) بشيخ عبد القرنة (٢٧)، بالإضافة إلى أربعين (٢٨) (سشم) ملفاً من الجلد مُثّلت فى إحدى مناظر المقبرة كانت تضم -حسبما اتفق العديد من الباحثين- مختلف مواد القانون المصرى فى شكله الدستوري (٢٨) يجب عليه العودة إليها عند حكمه بين الناس بالعدل. ويُرسى الخطاب الملك لتنصيب "رخ-مي-رع" الوزارة، أهم المبادئ والقيم الخلقية المتعلقة بمنصب الوزير وواجباته التى أصبحت منذئذٍ منهجاً ونبراساً للوزراء من بعده (٢٩) تلك القيم

²⁵ Gardiner, A.H., *The Hiratic Papayri in the British Museum*, vol. I, p. 47.

²⁶ Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, vol. II (London, 1976), pp. 22-24.

²⁷ Davies, N. de G., *The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes* (New York, 1943).

²⁸ Davies, N. de G., *The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes*, pp. 31-32.

²⁹ Faulkner, R. O., "The Installation of the Vizier", in: *JEA* 41 (1955), pp. 22-29 (with its figs.); Boom, G. P. F., *The Duties of the Vizier* (London, 1988), especially pp. 31-32, 365-369;

- للمزيد راجع: فايزة محمود محمود صقر، الوزير فى عصر الدولة الحديثة، دكتوراه غير منشورة فى تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم، كلية الآداب (جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤م-١٤١٥هـ).

دراسات في آثار الوطن العربي ٧

والمبادئ التي تعكس سياسة الدولة في التمسك الشديد بالقانون لتحقيق مبدأ العدالة (ماعت) ^(٣٠)، ومن أهم تلك المبادئ والقيم الأخلاقية لمهنة الوزير التي وردت بخطاب التنصيب:

إخ ما ن.إك ن.إك إرت خت نبت مي ننتت ر هب
 "يجب أن ترى أن كل شيء يتم طبقاً لما جاء في القانون" ^(٣١).

كما يعكس النص التالي من الخطاب مدى قوة شخصية الملك وإصراره على الحفاظ على أخلاقيات مهنة الوزير من أجل تطبيق العدالة الاجتماعية، فيصف الملك بقوله: "حقاً إن جلالته عليم بما يجري، فلا يوجد شيء ما يجهله فهو جوتي حقاً" ^(٣٢). ولا يكتف نص الخطاب بالتأكيد على إقامة العدل (ماعت) فقط، وإنما على ضرورة إظهار ذلك للرأي العام في قوله:

مك إرسر سجمون حر سمي موثا ون إروت.إف نبت
 "إن القاضي الذي يحكم بين العامة، الماء والريح تحمل تقريراً عن كل ما يفعله" ^(٣٣).

ولهذا كان لزاماً على الوزير ألا ينحاز إلى النبلاء وذوي المكانة على حساب البسطاء، وألا يتخذ من أي شخص نصيراً ^(٣٤)، مثلما جاء في النص:

مك تم واح حر.إف بو حر سرو جاجات تم
 إرن.إف مروت م رمث نبت.

والذي ترجمها "ديفيز" Davies - بخلاف "فوكنر" Faulkner - "ألا يتخذ عبيداً من عامة الناس" ^(٣٥).

كما على الوزير مراعاة سير الأمر وفقاً للقانون والإنصاف لجميع من له مظلمة أو شكاية دون تفرقة: "انظر (عندما) يأتي ملتمس من الصعيد أو الدلتا أو من البلاد كلها، استعد

³⁰ Tobin, Vincent Arie, *Theological Principles of Egyptian Religion*, Foreword by Roland G. Bonnel, American University Studies, Series VII, Theology and Religion, vol. 59, Peter Lang (New York. Bern. Frankfurt am Main. Paris, 1985), pp. 77-88 (V. Ma'at).

³¹ Faulkner, R. O., in: *JEA* 41, p. 22.

³² Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature II*, p. 22.

³³ Faulkner, R. O., in: *JEA* 41, pp. 22 and 29.

³⁴ Faulkner, R. O., in: *JEA* 41, p. 23.

³⁵ Davies, N. de G., *The Tomb of Rekh-mi-Re at Thebes*, p. 86.

لسماعه في قاعة الوزير" (٣٦). مؤكداً الخطاب على العدل وعدم الإنحياز الذي يُعدّ طغياناً على الإله نفسه: "لا تحكم (ظلماً) لأن الإله يمقتُ المحاباة" (٣٧). "ليتك ترى من تعرفه كمن لا تعرفه، والقريب منك مثل البعيد عنك".
 "لا تغضب على أي رجل بالباطل، بل أغضب على من يستحق الغضب" (٣٨).

وتتحدث فقرة من أنشودة للمعبود آمون (الأسرة الثامنة عشرة) أيضاً عن أخلاقيات الوزير فتذكر أن: "وزير الفقير، لا يتقبل الرشاوي من المجرمين، لا يتحدث مع الشهود، لا ينتظر (فضلاً) من الذي يُعطي وعداً" (٣٩).

أخلاقيات الطبيب المصري القديم:

هناك العديد من النصوص التي تتناول أخلاقيات الطبيب في مصر القديمة، وإن كان بشكل غير مباشر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر نص وجاهور سنت وقد كان كاهناً مصرياً وكبيراً للأطباء؛ حيث طلب منه "دارا الأول" ملك الفرس (الأسرة ٢٧) أن يذهب إلى "بيت الحياة" في مدينة صا الحجر وهي مدرسة لتعليم الطب، ويرد النص في مقدمة بردية "إدوين سميث" الطبية: "قال: أمرني جلالة الملك دارا أن أتوجه إلى مصر، لما كان في (...). كملك عظيم على كل قطر وأمير عظيم على مصر، لتأسيس صالة بيت الحياة وبيت ... بعد ما أصابهما التلف. لقد دأني على الطريق؛ إذ مصر جماعة من البدو، كما أمر جلالتة بذلك. نفذت أمر جلالتة. وزودتهما (البيتان المذكوران) بالطلبة من أبناء الأسر الراقية. فلم أدخل معهم طالباً من أبناء الفقراء. ولقد وكلت أمر هؤلاء الطلبة إلى جل عاقل .. في كل ما يختص بعملهم. لقد أمرني جلالتة أن أعطيهم كل شيء طيب حتى يتمكنوا من أداء جميع مهامهم، فزودتهم بجميع ما احتاجوا إليه وبكل الآلات الواردة في النصوص حسب ما كانت موجودة في حيزة المعابد سابقاً. فعل جلالتة هذا لأنه كان يقدر هذه المهنة (والأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها ممارسيها) ويرغب في شفاء كل مريض ويحرص على تدعيم أسماء الأرباب ومعابدهم ومواردهم فيحتفل بأعيادهم على الدوام دائماً" (٤٠).

ومن نصوص أحد الأطباء يذكر عن نفسه وأخلاقياته ومهارته كطبيب قانلاً: "كنت كاهن (سخمت) قوياً وماهراً في المهنة، أضع يدي على المريض فاتعرف على مرضه، كنت ماهراً بيدي". ومن النصوص الأخرى الدالة على أمانة الأطباء وصراحتهم في إعلان حالة المريض دون تردد أو مواراة للحقيقة مهما كان وقعها، نص الوزير "واش بتاح" وزير الملك "نفر إير كا ع" (الأسرة السادسة)، حيث استدعى الملك الكهنة ورؤساء الأطباء وأرسل إلى "بيت الحياة" لإحضار البرديات الطبية لمراجعتها، فلما حضر الأطباء

³⁶ Davies, N. de G., *The Tomb of Rekh-mi-Re^o at Thebes*, p. 86; Faulkner, R. O., in: *JEA* 41, p. 22; Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature II*, p. 23.

³⁷ Faulkner, R. O., in: *JEA* 41, fig. 2, p. 22.

³⁸ Faulkner, R. O., in: *JEA* 41, fig. 2, p. 22; Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature II*, pp. 23-24.

³⁹ Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, vol. II, p. 111

^{٤٠} حسن كمال، الطب المصري القديم، الجزء الأول (القاهرة، ١٩٦٤)، ص ١٠٣ و ١٠٥.

قرروا أن حالة الوزير "واش بتاح" خطيرة فتكدر الملك واختلى في غرفته يتضرع إلى الأرباب لتشفي وزيره (٤١).

ومن أخلاقيات الطبيب ضرورة إقامة حوار مع المريض لاستبيان حالته وأيضاً التهوين عليه من آلام مرضه ومواساته؛ حيث تشير النصوص الطبية إلى أن الطبيب كان يوجّه أسئلة إلى المريض ليتعرف على الداء، فكان يسأله عن تاريخ مرضه وسيره وعن نومه وبقيته. فقد جاء -على سبيل المثال- في الفقرة رقم (٢٠) من بردية "إدوين سميث" الطبية: "فإذا سألته عن مرضه ولم يجبك" كان الطبيب يتحرى ذاكرة المريض وقدرته على النطق أيضاً (٤٢).

خطابات ووثائق عمال دير المدينة - التغيب عن العمل:-

يتضح من دفتر يومية العمال الذي كان يحتفظ به كاتب المقبرة أنه كان يوسع العمال التغيب عن العمل لمختلف الأسباب: ففي العام الأربعين من حكم "رعسيس الثاني" (حوالي ١٢٤٠ ق.م)، كان "باحر باحت" -الذي كان يعمل طبيباً لقرية دير المدينة- مسافراً لرعاية "عا بحتي" المريض، وذلك في الشهرين الثالث والرابع من فصل أخت، وتعيّن عليه فيما بعد العناية بالعامل "خونس" وزوجة الكاتب وبالعامل "حور مويًا". كم كان وقوع حال وفاة في العائلة عنراً قهرياً، وكذلك التغيب للاحتفال بالأعياد والمواسم. وهناك أسباب عائلية مثل "خناقة زوجية" تكون نتيجتها التغيب عن العمل. أما الأعدار الغير مقبولة مثل التغيب للشرب أو بناء منزل لأحد العمال (٤٣). كل تلك الأسباب المقبولة للتغيب عن العمل تعكس أخلاقياته التي اتبعها قدماء المصريين بمختلف طبقاتهم ومهنتهم.


المناظر ونصوصها الدالة على أخلاقيات العمال والحرفيين في مصر القديمة:

ربما تطلبت أخلاقيات المهنة في مصر القديمة، وجود أسلوب معين في الحديث أثناء العمل كما يتضح من حوار حدث أثناء ضم وحصار نبات البردي في صورة حزم من أجل صناعة القوارب، وكان ذلك ضمن مناظر ونقوش من عصر الأسرة الخامسة في مقبرة "تي" (رقم ٦٠) شمال هرم "نثر-إر-خت" (زوسر) بسقارة؛ حيث ظهر أربعة أشخاص يحملون حزم كبيرة من البردي، وقد همّ أحدهم بالوقوف عقب سقوطه على الأرض، وقد هبّ زميلاه لمساعدته في ذلك ويحاول أحدهما أن يسنده ويرفعه على الرغم من حمله الثقيل هو أيضاً، قائلاً له: $\text{---} = \text{---} \text{ ثس ثو أي "انهض"،$ بينما يظهر رجل ثاني يحاول مساعدته، فيقوم برفع الحزمة التي بيده اليسرى في حين يحاول معاونته بيده اليمنى، بينما نجد هنا نص -ربما على لسان الشخص الذي يؤمر بالنهوض-


٤١ حسن كمال، الطب المصري القديم، ج ١، ص ١٠٦.


٤٢ حسن كمال، الطب المصري القديم، ج ١، ص ٢٣٩.


٤٣ مورييس بيربيرابر، صتاع الخلود، ترجمة عكاشة الدالي (القاهرة، ١٩٩٣)، ص ٦٥.

يقول:  إري (إي) إر حست. إك أي "إني أفعل ما يحلو لك"، ومعناها "سمعاً وطاعة" أو "إنني) أفعل كما ترغب" (٤٤).


وفي منظر آخر من مناظر مقبرة "تي" يوجد نص آخر يُشير إلى حوار يدور بين ثلاثة من صنّاع القوارب البردية؛


حيث يقول أحدهم:  ثس إر. إك أي "اجذب نحوك".

فيجيبه الثاني أمراً إياه:  إر منخ أي "اعمل جيداً".

بينما يقول الثالث:  عق ورت أي "الإحكام جيداً (الإحكام بشدة)" (٤٥). وكلها عبارات تُشير إلى دقة العمل وأخلاقيات المهنة لإخراج عمل كامل ومتمقن ومُحكّم بالطبع.

ومن أخلاقيات المهنة احترام الحرفي الصغير لمعلمه خاصة إن كان والده. إذ سجلت لنا مقبرة "بتاح-حتب" بسقارة من عصر الأسرة الخامسة، حوار دار أيضاً بين صنّاع القوارب البردية، فيقول أحد صنّاع القوارب مخاطباً صبي صغير:

 إسبق (أ) إن. إن. (إك) شسو أي "أيها الصغير فلتحضر الحبال".

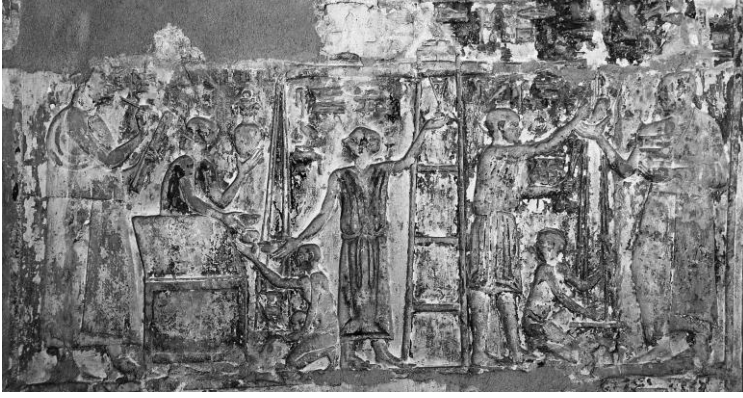
فيرد عليه الصغير بالإجابة:  إات مي ن. إك شس بن أي "أيها الوالد إليك لفة الحبال هذه" (٤٦). وواضح هنا احترام وطاعة الصغير للكبير.

⁴⁴ Capart, I., *Une Rue de Tombeaux a Saqqarah* (Brusselles, 1907), p. 383, fig. 371; PM III², *Memphis*, part 2, fasc. 1 (Oxford, 1978), p. 476, 45.

⁴⁵ Montet, P., *Les Scènes de la Vie Privée dans les Tombeaux égyptiens de l'oincien empire* (Paris, 1925), p. 80; PM III², *Memphis*, part 2, fasc. 1, p. 469.

⁴⁶ Wreszinski, W., *Atlas zur Altaegyptischen Kulturgeschichte*, Teil 3, Tafeln 14-15; Davies, N. de G., *The Mastaba of Ptah Hetep and Akhet Hetep at Saqqareh* (London, 1900), Pl. 25.

وفي مقبرة "بادي-أوزير" (بتوزيريس) بتونا الجبل (مركز ملوي-محافظة



المنيا)، من نهايات
العصر المتأخر
وبداية العصر
اليوناني-الروماني،
وردت مناظر
لإحدى الورش
المصرية للصناعات
المعدنية، يحوي
إحداها منظراً
يوضح وزن القطع

البرونزية بعد تصنيعها، وتتم عملية الوزن في حضرة كاتب يقوم بتسجيل وزن كل قطعة، ويُشير النص المصاحب لعملية الوزن -وقد سُجِّلَ النص أسفل الميزان- إلى طلب الكتاب من العامل القائم على الميزان بأن يكون دقيقاً في الميزان فيقول: "أحفظ يدك من الظلم". وكلمة "يد" (ترجمة حرفية)، فالمقصود من النص المصاحب على يسار المنظر: م إني ميس "لا تجعلها تهتز (أي كفة الميزان)" أي تحكم في كل كفة للميزان وليست اليد "جرت نب = كل كفة"، مثلما في النص المصاحب على يمين المنظر فيقول: سروج جرت نب م إني أي "تحكم في يدك من الاهتزاز (أي من الاختلاس)"^(٤٧). وهي جملة تعكس إحدى القيم الخلقية للمهنة، وخاصة في الميزان حيث يطلب الكاتب من زميله (العامل) أن يتحرى الدقة دون زيادة أو نقصان.

وأخيراً نجد أن المصري القديم انتقد الأخلاق الشائنة في العديد من المهن والحرف في فن الفكاة والكاركاتير لديه؛ حيث انتقد في حرفة الحارس كونه عابثاً أو غافلاً عن مهامه، وفي مهنة القاضي عندما يكون ممتنهما غير ذي علم فصوره ساخرأ تارة على هيئة فأر يقضي بين آخرين وتارة أخرى صور الفنان المصري القديم انتقاده للقاضي غير المراعي لأخلاقيات مهنته وضرورياتها.. مجموعة من القضاة برؤوس الحمير ولم يكتف بذلك بل صوّر تابع القاضي أو حاجبه على هيئة الثور في حين صوّر المتهم بينهما على هيئة القط^(٤٨)، بما يشير لإنقلاب الأوضاع بالمجتمع وغياب الماعت عنه وما تبعه من ضياع الأخلاق.

الحرف والمهن في الأدب السوري القديم :

كان المجتمع في كنعان (فينيقيًا) مقسماً إلى عدة طبقات، ففي الطبقة الاجتماعية الأولى نجد جماعة الأشراف والنبلاء من الملاك الإقطاعيين والمحاربين الذين كانوا يستطيعون اقتناء مركبات حربية وكانت هناك جماعة من الارستقراطيين من التجار وأصحاب المال، وفئة الملاحين الكبار، قباطنة السفن الذين يؤلفون جماعة لها نفوذها

⁴⁷ Lefebvre, G., *Le Tombeau de Petosiris*, T. III (Le Caire, 1923), Pl. VIII.

^{٤٨} عبد العزيز صالح، الفكاة والكاركاتير في الفن المصري القديم، ص ٣-١٢ ولوحات (١٠) و(٢٠)، (٨) و(١٤).

واحترامها في المجتمع. كما كان الصناع والتجار يحتلون مركزا وسطا في المجتمع الفينيقي. أما في الطبقة الدنيا نجد الأفنان (الذين لا يملكون الأرض) والعبيد. وكانت العادة أن ينشأ أبناء الصناع على تعلم صناعة آبائهم. ويظهر أن أصحاب الصناعات والفنون والحرف كانوا ينظمون في نقابات حيث تجمعهم الصنعة أو المهنة الواحدة وتربط بينهم قرابة الرحم أحيانا، ويسكنون في أحياء خاصة بهم.

وكان في المجتمع الكنعاني (الفينيقي) فلاحون يملكون الأرض وطبقة من أفنان الأرض وكان الفلاح يحصد القمح والشعير ويصنع منه خبزه. أما الطعام فلم يكن يعتمد على اللحم، لأن اللحم (الذي كانوا يطبخونه في قدر خزفية واسعة الفوهة وما كان يؤكل إلا في الأعياد والمناسبات) وكانوا يشربون ماء الآبار أو العيون الجارية وينقلونها إلى منازلهم إما في جرب من الجلود أو في جراب خزفية كبيرة. وكانوا يضيئون منازلهم بحرق زيت الزيتون في مسارج بسيطة الصنع، وهي عبارة عن صحن خزفية لها في خافتها نتوء مقعر لتستقر فيه الفتيلة.

كما كانت تجارة الأفالوية والعمور والبخور الذي يستخدم في الطقوس الدينية القديمة حكرًا على الكنعانيين (الفينيقيين). وكانوا يذهبون إلى شواطئ الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لأفريقيا بغية الحصول على هذه المنتجات وقد أحاطوا المسالك البحرية التي كانت تسلكها مراكبهم بسياج من الكتان التام، وأسرفوا في نشر الأخبار عن المخاطر والمخاوف التي كانوا يلقونها في البلدان التي تنتج البهارات والأفالوية والبخور ونقله إلى سائر البلدان. حتى أن الناس في العهد اليوناني كانوا يعتقدون أن سوريا كانت بلد المر والبلسم ولم يدرك الناس أن البلد الذي ينتج المر هو جنوب الجزيرة العربية. وأن القوافل التي كانت تنقله إلى حوض البحر المتوسط كانت القوافل السبئية.

ويذكر عن القرطاجيين دهانهم في التجارة وابتكارهم مختلف الوسائل للمقايضة. ويقول هيرودوت أن الملاحين الكنعانيين (الفينيقيين) كانوا يبحرون إلى شاطئ أفريقيا الغربية، وعند الشاطئ كانوا ينزلون البضائع والسلع ويشعلون النار علامة على وصولهم ثم ينسحبون إلى مراكبهم. وكان السكان الأفارقة عند رؤيتهم النار على الشاطئ يتقدمون وبأيديهم الذهب فيتركونه على الشاطئ كئمن ثم يتراجعون قليلا إلى الوراء ليرى ما إذا كان الثمن مرضيا عند التجار الكنعانيين (الفينيقيين) فينزل الملاحون الكنعانيون (الفينيقيون) إلى الشاطئ ثانية لفحص مقدار الذهب فإذا وجدوا أن كمية الذهب ترضيهم حملوه وقفلوا راجعين تاركين سلعهم على الشاطئ. وإذا كانت الكمية أقل مما ينتظرونه فإنهم يعودون ثانية إلى مراكبهم ويتربصون عودة الأهالي مرة أخرى ليزيدوا من كمية الذهب وبهذه الطريقة من المساومة الصامتة يقول هيرودوت

كان الفريقان يتفان على البيع والشراء دون أن يغش أحدهما الآخر.^(٤٩) مما يشير إلى الثقة المتبادلة بين الطرفين رغم اختلاف البيئة الحضارية.

رحلة ون آمون: (٥٠)

تدور حوادث الرحلة عن قيام " ون آمون" باعتباره " سفيرا من بنى الإنسان " إلى ساحل كنعان (فينيقيا) ليحضر خشبا كان لازما لإصلاح قارب " آمون" وقد رحل ون " آمون" في فترة كانت السلطة في مصر منحلة موزعة بين الكاهن الأول حريحور في طيبة وبين سمندس في تانيس . وقد اختير " ون آمون" باعتباره احد كبار الموظفين قد اخذ معه تمثالا لامون يسمى " آمون الطريق " ليكون الممثل الشخصي أو المبعوث فوق العادة الذي يمثل الإله في الخارج. وبعد أن مر " ون آمون" على "تانيس" واطلع أمراءها على الخطابات التي معه من "حريحور"، أبحر متجها إلى فينيقيا وقد سرقت أمواله في أول ميناء نزل به ، ثم تتابعت عليه المحنة فلاحقته في صور و جبيل (بيبلوس) وقبرص، ولا نعرف نهاية الرحلة لفقدان خاتمتها.

كانت الرحلة مؤرخة للسنة الخامسة من سنى عصر النهضة ، وكان حريحور" كبيرا للكهنة بالكرنك ، بينما كان "نسى بانب جد" او "سمندس" الملك الاول من ملوك الأسرة الحادية والعشرين في "تانيس" . كان هذان الرجلان على وفاق تام ، ولم يطلب اى منهما التاج لنفسه في تلك الاونة وكان الملك الحقيقي رمسيس الحادى عشر وذكر مجازيا في نص من نصوص . وفي مثل هذه الظروف ، كانت مصر حقيقة ضعيفة جدا لتلقى احتراما خارجيا . وان محاولات "ون آمون" مع الامراء الذين اتصل بهم ، تعطينا فكرة عن العالم المعاصر الغير متكافئ .

وتروى القصة أنه في السنة الخامسة ، الشهر الرابع لفصل الصيف ، اليوم السادس عشر ، وهو اليوم الذى ذهب فيه" ون آمون" كبير حجاب معبد "امون" ، رب عروش الارضين ، وذلك للبحث عن خشب للقارب العظيم الميجل ، ملك الاله ، الذى كان على النهر ، وكان يسمى " آمون اوسر حية" ، وعند يوم وصولى الى "تانيس" حيث المكان الذى اقام فيه "نسى بانب جد" ، و"تنت آمون" ، اعطيت لهما رسالة "امون رع" ، ملك الاله . امر بان تقرأ عليهما ثم قال سنعمل بكل تأكيد كما امر "امون رع" ، ملك الاله

ولقد بقيت حتى الشهر الرابع لفصل الصيف (التواريخ فى الاصل غير متفق على صحته) فى تانيس . وارسلنى نسى بانب جد وتنت آمون مع قبطان السفينة منجبت ، وذهبت متجها الى البحر العظيم لسوريا فى الشهر الاول لفصل الصيف .

ولما وصلت الى دور ربما تكون دور واقعة فى جنوب جبل "الكرمل" وامر اميرها "بيدر" ان يحضر لى خمسين رغيفا ، وقتينة من نبيذ وفخذ ثور . وقد هرب رجل من سفينتى بعد ما سرق اناء من ذهب قيمته خمسة دبن واربعة اوان من الفضة قيمتها عشرين دبنا، وحقبية من الفضة قيمتها ١١ دبنا ، ومجموع ما سرقه ٥ دبنات من ذهب ، ٣١ دبنا من فضة . (كان وزن الدبن فى هذا

^{٤٩} رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجئ الإسكندر الأكبر، الجزء الأول،

إيران والعراق (جامعة المنيا، ٢٠٠٢)، ص ١٧٨ - ١٩٠.

^{٥٠} عبد الحميد زايد، الشرق الخالد (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ٢٦١-٢٦٩.

العصر ٩١ جراما تقريبا . وبذلك يصبح وزن ما سرقت : ٤٥٥ جراما من ذهب ، ٢٨٢١ جراما من فضة) .

استيقظت في الصباح ، وتوجهت الى المكان الذى كان فيه الامير (القصر) قانلا له : لقد سرقت فى ميناءك . ولكن انت امير هذا البلد وانت راعيها . فابحث لى عن مالى ، والحقيقة ان هذا المال ملك "لامون رع" ملك الاله ، سيد العالم ، إنه ملك لنسى "بانب جد" ، إنه ملك "لحريحور" ، سيدى ، وملك عظماء مصر ، إنه ملك لك ، إنه ملك لورات إنه ملك لمقمار ، إنه ملك لثيقار بعلى امير بيبيلوس ، .

وقال لى :

"اتحدث بحق ام انك تخترع ؟ لاننى حقا لا اعرف شيئا عن هذه القصة التى اخبرتنى اياها . اذا كان السارق رجلا من بلدى ونزل الى سفينتك وسرق مالك ، فاننى لا ابد ان اعيدته اليك من مخازنى حتى يوجد اللص من اذن يحتمل ان يكون ، ولكن الحقيقة ان اللص الذى سرقتك ، هو من عندك ، انه تابع لسفينتك . فلتبق معى بضع ايام فسوف ابحت عنه" .

امضيت تسعة ايام قائما فى ميناؤه وبعد ذلك ذهبت اليه . وقلت له :

" انظر ، ما دمت لم تجد مالى فسأبحر مع بحارة السفينة ومعى من يريد ان يبحر . . . " . ثم تاتي بعد ذلك فقرات مشوهة من النص ، خلاصتها ان ون آمون اراد ان يقلع مع بعض رجال السفينة ، ولكن نصحه الامير بالامتناع ، مقترحا عليه انه سوف يأخذ بعض السلع الخاصة بالاشخاص المشتهة فى امرهم كرهينة حتى يذهبوا للبحث عن اللص . ومع ذلك كله فضل ون آمون الاستمرار فى رحلته . وبعد ان وصل الى صور ، ترك هذا الميناء فى الصباح ، ووصل بيبيلوس حيث كان اميرها "ثيقار بعلى" ، وهناك التقى بسفينة تحمل ٣٠ دينا من فضة ، وذكر ايضا ان المال سيبقى معه حتى يحضر هؤلاء الاشخاص اللص^(٥١) .

ثم يستمر النص :

... ولما رحلوا احتفلت (بعيد) فى "فسطاط" على شاطئ البحر فى ميناء "بيبلوس" . ووجدت مكانا خفيا (للمثال المسمى) آمون الطريق ، ثم وضعت امواله داخلها .

وارسل الى امير بيبيلوس قانلا:

"ارحل من مينائى" وارسلت اليه قانلا: "الى اين اذهب؟ .. اذا كنت تستطيع ان تجد سفينة تحملنى دعنى اعود الى مصر ثانية" .

وقد امضيت ٢٩ يوما فى ميناؤه ، وهو يبعث الى يوما قانلا: "ارحل من مينائى" .

وفى ذات يوم ، حينما كان يقدم الى الهته ، قبض الاله على رجل صغير من رجاله الصغار والقى الرعب فى قلبه ، وقال له :

"احضر الاله واحضر الرسول الذى يحمله . انه آمون الذى ارسله ، انه هو الذى عمل على احضاره . وكان الرجل الغاضب فى حالة غضب طوال هذه الليلة ، ولما وجدت سفينة تولى وجهها نحو مصر ، وكانت قد حملت كل اغراضى عليها وراقبت الظلام قانلا حينما تبجر (تنزل الى مصر) ، فسوف اضع (تمثال) الاله فى السفينة ، وسوف لا تراه عينا اخرى" .

وجاء المشرف على الميناء الى قانلا :

^{٥١} رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج١، إيران والعراق، ص ١٨٠ .

"انتظر هنا حتى باكر. هكذا قرر الامير. وقد قلت له: ألم تكن انت الذى انفتت وقتا فى الحضور الى يومية قانلا: ارحل من مينائى . الم تقل انتظر هنا هذا المساء، وذلك لتضع السفينة التى وجدتها ترحل وبعد ذلك ستحضر وتخيرنى لارحل؟".

وذهب واخبر الامير . وارسل الامير الى قبطان اللسقية قانلا: " انتظر حتى الصباح بامر الامير "

وعندما قابلت الأمير سألنى: " هب انك على حق ، اين هي رسالة آمون التى تحت يدك ، اين خطاب الكاهن الاول لامون التى تحت يدك ؟ " وقلت له: " اعطيتها لنسى " بانب جد" و"تنت آمون" . فغضب جدا وقال لى :

" حسنا الان ، لا يوجد معك خطاب ، ولكن اين سفينة خشب الصنوبر التى اعطاها لك نسى بانب جد ؟ واين بحارتها السوريون ؟ الم يسلمك الى قبطان تلك السفينة الاجنبى ليقنتك ، ولسوف يلقونك فى البحر ؟ عند من اذن كنا نلتمس الاله ؟ وانت نفسك عند من كنا نجدك" . هكذا قال لى ، فاجبته : " ولكن اليست هي سفينة مصرية وبحارة مصريون الذين كانوا يحملون (يجذفون) نسى بانب جد ؟ لم يكن لديه بحارة سوريون " . فقال لى: " الم توجد فى مينائى عشرين سفينة تقوم بربط العلاقات التجارية مع " نسى بانب جد" وأما من جهة "صيदा" ، ذلك المكان الذى تمر عليه ، الم يوجد اكثر من ٥٠ سفينة هناك تعمل مع "واركاتير" وتبحر الى منزله؟".

وقد لزمت الصمت فى هذه اللحظة الدقيقة .

ثم استطرده قانلا لى :

" ما هي المهمة التى جنت من اجلها ؟ " فقلت له : " اننى جنت فى طلب خشب المركب المقدس العظيم "لامون رع" ، ملك الالهة . ما فعله ابوك وما فعله والد والدك سوف تفعله انت " . هكذا قلت له وقال لى :

" فعلوها حقا . سوف تدفع لى من اجل عملها ، ولسوف افعلها وبالتأكيد انجز رجالى هذا الطلب ، ولكن ذلك بعد أن عمل ملك على ارسال ٦ سفن محملة بالخيرات المصرية فكان يفرغونها فى مخازنهم . ولكن ما الذى احضرته لى ؟ "

وارسل فى طلب السجل اليومى لابائه وامرهم بان يقرأ امامى ووجدوا داخل هذا الملف اشياء من كل صنف قيمتها الف دين من الفضة . وقال لى :

" اذا كان حاكم مصر صاحب ما املك ، وانا ايضا خادمه " .

فلم يكن هناك ما يستوجب احضار فضة وذهب حينما قال لى : " انجز رسالة آمون " . (ويقصد من ذلك انه اذا كان آمون يقصد تنفيذ امر من الاوامر فلن يدفع له اى مقابل)

" لم تكن الاشياء التى يقدمونها لوالدى على سبيل الهدية بدون مقابل . وأنا ايضا لست خادما لك ولست خادم من ارسلك ايضا (يقصد هنا حريحور الذى يعتبره ون آمون سيده) . حينما ارفع صوتى انشقت السماء وامتدت الاشجار هنا على شاطئ البحر . اعطنى القلاع التى احضرتها لاحمل سفنك التى معك لانقل خشبك الى مصر ، اعطنى الحبال التى احضرتها لاهزم (أشجار الارز) الذى ساسقطه لك (ساقطعه) لاقدمها لك (والا كيف نأخذ الاخشاب التى سأمذك بها؟) . فربما تكون الاحمال ثقيلة على قلاع سفنك ، وربما تهلك وسط البحر . انظر ! سوف يعلو صوت آمون فى السماء وقد وضع ست بجداره . حقا ، ان آمون انشأ كل البلاد ، لقد انشأها ولكن انشأ من قبل ارض

مصر التي اتيت منها . لقد اتت منها الصناعة لتصل الى مكاني . لقد اتت الحكمة منها لتصل الى مكاني (اى إلى بلادى) . فما معنى هذه الرحلات السخيفة التي تقوم بعملها " . ولكنى قلت له :

"كذب ! ليست رحلات سخيفة تلك التي اقوم بها الان . فما من سفينة في النهر ليست لامون . ان البحر ملك له . اما عن قولك بان الملوك الاوائل قد عملوا على احضار الذهب والفضة ، (فانى اجيب) بانهم عملوا على ان ترسل منتجات لاجدادك . ولكن "امون رع" ، ملك الالهة ، انه صاحب هذه الحياة والصحة ، وانه سيد اجدادك . قد امضوا حياتهم يقدمون القرابين لامون وانت ايضا خادم "امون" .

اذا قلت: " نعم ، سوف اعلمها الى "امون" ، ام اتممت طلبه سوف تعيش ، وسوف تكون ناجح ، وسوف تكون بصحة ، وسوف تكون محبوب لكل بلادك ولكل رجالك . فلا تطمع في مال "امون رع" ، ملك الالهة – الحق ان الاسد يحب ماله . دع كاتبك يحضر الى لارسله الى "نسى بانب جد" و"تنت آمون" ، وهم الولاه الذين ولاهم "امون" على شمال بلادهم ، وسوف يعملون على إعطائك كل ما تحتاجه من اموال .

سوف ارسله اليهما قائلاً : " دع هذا يرسل حتى اعود الى الجنوب " (اى فى طيبة عند "حريحور") ، وسأعمل على ان احضر اليك كل ما ادين به لك ايضا ؟" (٥٢) هكذا قلت له .

ووضع خطابي فى يد رسوله ، وحمل السفينة ، جذفها ومقدمتها ، ومؤخرتها ، واربعة الواح خشب سميكة مبخرة ، والمجموع سبع (قطع) ، وعمل على ارسالها الى مصر . واما عن رسوله الذى ذهب الى مصر فقد عاد الى فى سوريا فى اول شهر من فصل الشتاء ، وارسل نسي بانب جد وتنت آمون اربعة اوان من ذهب ، ووعاء (يسمى باللغة المصرية القديمة "كاكامن") ، وخمسة اوان من فضة ، وعشر قطع من غطاء فراش من الكتان الملكى ، وعشر خمر من كتان مصر العليا ، وخمسمائة ملف من البردى وخمسمائة من العجدر ، وخمسمائة حبل ، وعشرين جرارة عدس وثلاثين سلة سمك (مجفف) . وارسل (تنت آمون) الى خمس قطع من غطاء الفراش من كتان مصر العليا الدقيق ، وخمسة خمر من كتان مصر العليا الدقيق ، وجرار العدس ، وخمس سلال من سمك . وسر الامير وجهز ثلاثمائة رجل وثلاثمائة ثور : ووضع على رأسهم مشرفين ليعملوا على قطع (النص الاصلى اسقاط) كتل الخشب . واسقطوها ، وتركوها هناك طوال الشتاء . وفى الشهر الثالث من الصيف ، سحبوها الى شاطئ البحر . وذهب الامير ووقف قريبا منها ، وارسل الى يخبرنى بالحضور . ولما جنت اليه ، ضمنى ظل مروحته اللوتية (اى التى على شكل زهرة اللوتس . والمعنى الحرفى لتلك العبارة : سقط على ظل مروحته اللوتية) . وجاءنى تابعه (بن آمون pen amon) قائلاً: "لقد وقع عليك ظل سيدك ملك فغضب عليه (الملك) وقال: " دعه وحده " وجئ بى اليه ، وتوجه الى قائلاً : " انظر؟ لقد قمت بانجاز الطلب الذى قام به ابانى من قبل ، ولكن لم تفعل لى انت ما فعل آباؤك لآبائى. انظر ؟ وصلت اخر اخشابك وفى مكاتها. اعمل على حسب رغبتى ، وتعال وضعها فى السفينة ، لسنا مستعدين لتسليمها لك ؟ لا تحضر لى مخاطر البحر ، ولكن اذا نظرت الى مخاطر البحر ، انظر ايضا الى مخاطرى. حقا اننى لم افعل بك ما صنع برسل (خع ام واست Kha'mwase) حينما امضوا ١٧ عاما فى هذه الارض ومات فى مكانهم" ، وقال لتابعه :

"خذه ودعه يرى قبورهم حيث يرقدون" ولكنى قلت له: "لا تجعلنى اراها . اما بالنسبة للرسول التى ارسلها اليك خع ام واست من الرجال ، وهو ايضا رجل . ولكن ليس لديك واحد من رسله حينما تقول " اذهب وانظر رفاقك " . لما لا تفرح وتعمل على ان تقام لوحة وتستطيع ان تقول فيها : "امون رع" ، ملك الالهة". ارسل الى "امون" الطريق رسله ، وذلك مع "ون آمون" سفيره من بنى الانسان ، ليحضر الخشب لقارب "امون رع" العظيم الفاخر ملك الالهة لقد قطعها (النص الاصلى اسقطه) وحملتها على السفينة ، فزودته بسفنى وبحارتى . وعملت على ان يصلوا الى مصر يرجدن من اجلى آمون ليظيل عمرى خمسين عاما فوق ما قدر لى . حتى اذا قدم من مصر رسول يعرف الكتابة ويقرأ اسمك على هذه اللوحة ، فبقدم لك ماء الغرب كما يقدم للالهة التى هناك ."

فاجابنى : " ان هذا لدرس ثمين ، ذلك الحديث الذى تقوله لى " فقلت له : " اما من حيث الاشياء التى ذكرتها لى ، فاذا ما وصلت الى المكان الذى اقيم فيه الكاهن الاول لامون ، وأى ان طلبه (قد انجز) ، فسوف تتال جزء ما ابديت " .

ورحلت الى شاطئ البحر عند المكان الذى وضعت فيه كتل الخشب . فرأيت احد عشر سفينة تقبل على البحر كانت ملكا لقوم ثيكر Tjekker ، فقالوا : "اسجنوه ، لا تدعوا سفينة له تبحر الى ارض مصر" ، عندئذ جلست وبكيت .

وخرج الى كاتب خطابات الامير وقال لى : " ما الذى يضايقك ؟ " فقلت له : "الم تر الطيور التى تنزل الى مصر مرتين ؟ انظر اليهم ، كيف اتوا الى المياة الباردة . وحتى متى ساظل مهملا هنا ؟ الم ترى الذين اتوا ليسجنونى مرة اخرى ؟ " وذهب واخبرها الامير . وبدأ الامير يبكى متأثرا مما قيل له من احزان ، وارسل الى كاتب خطاباته ومعه قدحين من نبيذ وخروف ، وعمل على ان يبعث الى تتناو ، مغنية مصرية كانت لديه ، قائلا : " غنى له ، لا تترك قلبه منزعجا " . وارسل الى قائلا : " كل واشرب ولا تدع قلبك يتملكه الرعب سوف تسمع فى الغد كل ما اقوله " . ولما جاء الغد عمل على استدعاء مستشاريه ووقف بينهم وقال: "لقوم ثيكر ما معنى مجيئكم هنا؟" فأجابوه: " اننا جننا نتعقب السفن المحاربة التى ترسلها الى مصر مع اعدائك " فقال لهم: " لا يمكنى اسجن رسول آمون فى ارضى. فدعنى ارسله ثم طاردوه لتحصروه ". وحمل لى السفينة وارسلنى الى ميناء البحر. ودفعتنى الرياح نحو بلاد "السيا" وخرج اهل المدينة (فى الاصل المكان) ضدى ليقتلونى ، ولكن اخترقت طريقا بينهم حيث "حاتيبة" ، اميرة هذه المدينة ، فوجدتها وهى خارجة من احد منازلها لتدخل منزلا اخر . فحييتها ، ثم قلت لمن وقفوا حولها : " ليس بينكم واحد يفهم لغة مصر ؟ " فأجاب احدهم قائلا : " اننى افهمها " . فقلت له : "بلغ سيدتى انه من هنا حتى (لى) اننى كثيرا ما سمعت فى المدينة حيث يقيم آمون ان المظالم ترتكب فى كل مدينة ، ولكن العدالة تقام فى السيا . فهل ترتكب المظالم كل يوم هنا ، " فقالت: " ما الذى تقصد من قولك ؟ " فقلت لها : " اذا ما يهيج البحر وتدفعنى الرياح الى الارض التى انت فيها ، لسوف تسمحن بان يمسك رجالك بى ليقتلونى ، مع اننى رسول آمون ؟ انتبه الان ! بالنسبة الى ، فلا بد انهم سيبحثوا عنى الى الأبد ، ولكن بالنسبة لبحارة امير بيبيلوس الذين يريدون رجالى قتلهم ، ليس فى مقدور رئيسهم ايجاد عشرة بحارة من رجالك وهو معهم لقتلهم ؟ " وعملت على استدعاء رجالها ، ووجهت اليهم الاتهامات . ثم قالت لى : " نم فى (امان) ... " .

وقد ضاع الجزء الاخير من النص ، ومع ذلك فنحن نستطيع ان نستنتج ان ون
أمون قد استطاع العودة الى مصر ، فلو لم يكن قد عاد الى الوطن لما وصلت الينا تلك
القصة وتظهر لنا صفحة من صفحات التاريخ المصرى .

فى هذه القصة حوار ادبى ممتاز : فحينما حلت به الكارثة الاولى فى دور وسرق
فى هذا المكان

" وقد سرفت فى ميناءك) ، ولكن انت امير هذا البلد، وانت راعيها ... " ثم حينما وصل
الى قوم ثيكار " اسجنوه ، لا تدعوا سفينة له تبحر الى ارض مصر ! .. " ويخرج من المأزق
الاول بان يأخذ ثلاثين دبنا من الفضة رهينة حتى ترد اليه اغراضه . وفى المأزق
الثانى يستخدم فى الخروج منه اسلوبا عاطفيا اذ يقول: " الم ترى الطيور التى تنزل الى مصر
مرتين ؟ انظر اليهم ، كيف اتوا الى المياة الباردة . وحتى متى سأظل مهملا هنا .. " وقد كان
لحديثه اثر كبير حتى " بدأ الامير يبكى متأثرا مما قيل له ... وارسل الى كاتب الخطابات ومعه
القدحان من نبيذ وخروف ... مغنية مصرية ... كل واشرب ... " ثم يظهر قوة حجة ون
أمون وبيانه حينما اقنع الامير بان يقيم لوحة يسحل فيها ما قام به من اعمال نحو المعبود
" أمون " . وهى تعطينا فكرة طيبة عن قوة مركز أمون ، كما تدل على قوة حجة بطل
قصتنا فهذا الامير نفسه يقول: " ان هذا الدرس ثمين " . واستطاع ون أمون ان
يوضح للامير قوة سيده حريحور ومكانته . ففى بداية الحديث قال امير بيبيلوس لون
أمون " لست خادم من ارسلك ايضا " ، ثم هو فى نهاية الحديث ، وبعد ان يبين له
خطورة عدم امداده بما يطلبه أمون نراه يقنعه بضرورة انجاز ما طلبه ويقول له " اذا
ما وصلت الى المكان الذى يقيم فيه الكاهن الاكبر لامون (يقصد حريحور) ورأى ان
طلبه قد انجز فسوف تنال جزاء ما ابديت " .

ثم ظهر ايضا اهتمام المصريين بالاحتفال باعيادهم الوطنية فى الأراضى السورية
مما يدل على تمسكهم بالتقاليد حتى فى السفر ، اذ يقول " ون أمون " : " احتفلت بالعيد
على شاطئ البحر فى ميناء بيبيلوس " . ثم كذلك عالمية "امون" واعتراف اهل الشرق
بسلطانه العالمى اذ يقول امير بيبيلوس على لسان "ون أمون" : " ان "امون" انشأ كل البلاد
لقد انشأها بعد ان انشأ من قبل ارض مصر " وهو اعتراف صريح من حاكم سورى بسلطان
"امون" . ثم يظهر له " ون أمون " قوة "امون" اذ يقول " ان البحر ملك "لامون" . ان الأراضى
السورية التى تقول عنها انها ملكا لى انها ملكا له " . " أمون سيد لنا " ثم يقول للامير: " انت خادم
أمون " .

والقصة توضح العلاقات التجارية بين مصر واقطار الشرق القريب . اذ قال
الامير لون أمون: " الم توجد فى مينائى عشرين سفينة تقوم بربط العلاقات التجارية مع " نسى
بانب جد " (سمندس) ، ثم كان فى مصر ممثلون تجاريون اذ يقول :

" الا توجد اكثر من خمسين سفينة هناك تعمل مع " واركاتير " .. " .

وهو اسم احد الفينيقيين الذين كانوا مقيمين فى "تانيس" ويعملون فى التجارة
وشحن وتفريغ السفن .

وفي الواقع رغم أن القصة دونت ضمن الأدب الشعبي المصري القديم إلا أنها مرآة للأحوال التجارية وأخلاقيات المهن البحرية والتجارية لدى المدن السورية القديمة حيث تحكمها الطابع المادى للمعاملات ولكن دون غش أو خداع. ورغم تعرض "ون أمون" لبعض محاولات الاستيلاء على أمواله إلا أنه وجد من حكام المدن السورية رعاية وحماية وإدراك لمكاته المصريين فساعده وأقاموا العدل.

رحلة حنون البحرية : (٥٣)

حدثت في الربع الأول من القرن الخامس قبل الميلاد قصة شعبية دونت في سجلات الاستكشاف البحرى تحت عنوان "رحلة حنون البحرية"، والتي قام بها حنون ملك القرطاجيين فى بلاد ليبيا، خارج أعمدة هرقل، والتي نقشها على صخرة فى معبد كرونوس (ملقارت).

نقشت أحداث هذه الرحلة فى معبد ملقارت فى قرطاجة ولكن لسوء الحظ هدم المعبد مثلما هدمت قرطاجة نفسها.

وقد جاءت أخبار الرحلة حسب النص اليونانى مرتبة فى فقرات قصيرة ومتسلسلة نذكر منها:

● "ثم تابعا طريقنا فوصلنا إلى نهر "ليكسوس" العريض الذى ينبع من ليبيا. وعلى مسافة منه رأينا بعض البدو الرحل الذين يعرفون باسم الـ "ليكسيت" تتقدمهم قطعانهم. مكثنا عندهم بعض الوقت وأصبحت بيننا وبينهم مودة".

● "بعد أن أخذنا حاجتنا من المياه، أبحرنا عندئذ مدة خمسة أيام بمواجهة السواحل حتى بلغنا خليجا كبيرا كان يسميه مترجمونا "قرن الغرب" وكانت توجد فى هذا الخليج جزيرة كبيرة فيها بحيرة ملحية، وفى البحيرة أيضا جزيرة أخرى صغيرة. خلال النهار لم يكن بإمكاننا أن نرى سوى غابة. لكن عندما أقبل الليل رأينا نيرانا مشتعلة فى كل الأنحاء وسمعنا صياحا عاليا فانتابنا الرعب وقررنا أن نغادر تلك الجزيرة".

- نتذوق من النص -بلا جدال- نكهة المغامرة الحقيقية بالرغم من طابعه الأسطورى.

- معظم الباحثين للنص بشكل عام يرون أنه على كل حال قد بلغ نهر السنغال.

- أن المدن الخمس تنطبق على المراكز التجارية الموزعة على طول الساحل المغربى وحتى موريتانيا.

- يفترض أن إحدى هذه المدن مماثلة للمنشأة التى كانت فوق جزيرة موغادور والتى كانت بالتأكيد أحد المراكز التجارية البونية الأكثر نشاطا على الساحل.

- من بين الأسماء التى ذكرها حنون اسم "أكرا" ولكن فى المغرب عدة مواقع تحمل اسم "أكرا"، وأحداها قريب جدا من المحيط الأطلسى، ويعتبر سوقا للجمال. ويقع قريبا من وادى الدراع ويقصده كبار رعاة المورس. وهذا يشجع على الاعتقاد أن النهر المسمى "ليكسوس" ربما هو وادى الدراع وأن الرعاة الـ "ليكسيين" هم رعاة المورس الذين ما

^{٥٣} جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش (سوريا، ١٩٩٨)، ص ٢٠٣.

زالوا حتى اليوم يجوبون تلك الأنحاء. وقد ذكر حنون حينذاك أن بعضا من هؤلاء رافقوهم على سفنهم وعملوا كمرشدين لهم ومترجمين.

- أن بلاد السنغال بها نهر "Fademe" وبلاد "Bambouk" الشهيرة بمناجم الذهب الأسطورية وأن حنون يقدم لنا وصفا للاستقبال الذى لاقاه والذى يمكن أن يرهب كل الذبن حاولوا ربما تقليده. و أن المسافات المبينة من خلال ذكر أيام الإبحار ليست مطابقة أبدا وهذا ربما يكون ناتجا عن تشويه أو تحريف فى النص وخلل تعرض إليه الترتيب الزمنى لل فقرات .

الحرف والمهنة فى الأدب الشعبى العراقى القديم:

اشتهرت بلاد النهرين بما عثر فيها من قوانين تعد أقدم ما عرف فى العالم القديم، ومن أوائل التشريعات القانونية التى وصلتنا من العراق القديم كانت تشريعات الملك "أوركاجينا" أحد ملوك أسرة لجش (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) الذى يمكن أن يعتبر من أوائل المشرعين فى تاريخ البشر، وبها بعض التشريعات المتعلقة بالنواحى الإدارية. (٥٤)

ومن القوانين الهامة التى وصلتنا من بعده "قانون أورنمو" وهو الملك الذى أسس أسرة أور الثالثة "٢١١٢ - ٢٠٩٥ ق.م)، ولقد اهتم فى قانونه بشكل كبير بتثبيت المكاييل والأوزان، كما تعرض وبعض قوانين العقوبات.

ويلى قانون "أورنمو" قانون مملكة "أشنونا" الذى بقيت منه احدى وستون مادة، وينسب أحد الباحثين هذه القوانين إلى أحد ملوك مملكة أشنونا البارزين، وهو الملك "بلالاما". (٥٥)

وجاء بعده "قانون لبت عشتار" الذى ينسب إلى الملك "لبت عشتار" (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) خامس ملوك أسرة أيسين، ويتكون هذا القانون من مقدمة ونصوص قانونية وخاتمة وتعالج مواد شئون الأراضى الزراعية والحدائق والعبيد. يلى ذلك قانون حمورابى (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) والذى سوف نتعرض له بالتفصيل فيما يخص بحثنا. (٥٦)

ويمكننا أن نقسم النماذج التى أتت من العصر الآشورى من حيث زمنها إلى مجموعتين : القوانين الآشورية القديمة (غير كاملة فى أواخر القرن الثالث قبل الميلاد) والقوانين الآشورية المتوسطة وقد عثر عليها مدونة فى عدة ألواح من الطين ويمكن تأريخها على وجه التقريب بين ١٤٥٠ - ١٢٥٠ ق.م.

لقد كان حب الخير والحض على القيام به، والنهى عن الشر والتحذير من عمله، من الأمور الهامة التى حث عليها الحكماء العراقيون القدامى فيما أسدوه من نصائح

^{٥٤} أحمد سليم، حضارة العراق القديم، ص ١٨-٢٠.

^{٥٥} رمضان عبده، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج ١، إيران والعراق، ص ٢٣٢.

^{٥٦} عبد الحكيم الذنون، التشريعات البابلية، ص ٦٩.

وحكم، كما حرصوا على أن يتمسك الإنسان العراقي القديم بقضائل السلوك الأخلاقية وإظهار مقتهم للنشر والكذب والزور، وعصيان القانون، والإخلال بالنظام، والظلم، والاضطهاد، وارتكاب المعاصي، والغيبة والنميمة.

- " إذا ذهبت واستوليت على ثمار الآخرين، فإنهم سيأتون ويستولون على ثمار حقلك".^(٥٧)
- "من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير...".
- "من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير...".
- "من قال لأكلن ما حرم...".
- "من قال لأشربن ما حرم...".
- "إذا وعدت بشئ فاعط...".
- "من الصعب الحصول على الثروة، ولكن الفقر قريب".
- لا تتحدث مع ناقل الإشاعات".
- "إذا قوبلت بمشاجرة أو نزاع، فامض في طريقك ولا تعرها أي اهتمام، وإذا كان النزاع يتصل بك، فاعمل على إخماد لهيبه، فإن النزاع حفرة مغطاة".
- "إذا استولى على قطعان أغنامهم، فإن آدو المشرف على القنوت في السماء والأرض، سوف يصيب حيواناتهم بالجوع".
- "الذى يملك كثيرا من الفضة، سيكون سعيدان والذى يملك كثيرا من الحبوب، سيكون مسرورا، ولكن الذى لا يملك شيئا، يستطيع النوم".
- "كن حكيمًا، فتعرض فهمك ومعرفتك بأدب، اغلق فمك، واحرس لسانك، اجعل شففتك ثمينة مثل الكنز، لا تتحدث أبداً ببذاءة، ولا تعطى مشورة غير موثوق فيها، فكل من يعمل شيئا مذموما يستهان به".
- "من كان عمله الزراعة، فعليه زراعة حقله، ومن كان عمله حصاد الشعير، فعليه القيام بحصاده".
- "لا ينبغي اقتناء حمار مزعج النهيق، ولا ينبغي زراعة حقل على الطريق".

قانون مملكة أشنونا: (٥٨)

عثرت البعثة العراقية للآثار في منطقة تل حرم (قرب بغداد) على آلاف الرقم الطينية، كان منها اثنان متصلان بتشريعات قانونية وقد كتبا بالخط المسماري وباللغة البابلية القديمة، ويوجدان في المتحف العراقي تحت رقم ٥١٠٥٩ و ٥٢٦١٤. ومن المسائل التي تناولتها هذه التشريعات تحديد أجور العربات والقوارب ومن يعملون عليها، وأجور العمال الزراعيين، وأجرة الدواب التي تستخدم في الحمل مثل الحمير والجمال. ونذكر بعضا من هذه المواد:

مادة (١): (يسعر) الكور الواحد من الشعير بشيكل واحد من الفضة وتسعر كل/٣ قا qa من الزيت- نخب أول - بشيكل واحد من الفضة ويسعر السيه Seah مع اثنين قا qa من زيت السمسم بشيكل واحد من الفضة، ويسعر كل Seah (مع) قا qa من الشحم بشيكل واحد من الفضة ويسعر كل

^{٥٧} ديلايورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة محرم كمال (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٢٩٨.

^{٥٨} عامر سليمان، العراق في التاريخ (بغداد، ١٩٨٣)، ص ٢٠٤.

أربعة سية Seah من "زيت النهر" بشيكل واحد من الفضة، وتسعر كل ستة مينا mina من الصوف بشيكل واحد من الفضة، وتسعر كل ثلاثة مينا من النحاس بشيكل واحد من الفضة ويسعر كل اثني مينا من النحاس الصافي بشيكل واحد من الفضة.

مادة (٣): أجرة عربية النقل مع ثيرانها وسائقها بان pan واحد وأربع Seah من الشعير، أما إن دفعت الأجرة فضة فتكون ثلث شيكل على أن يقودها السائق يوماً كاملاً.

ملدة (٤): أجرة قارب اثنان قا على كل كور qur وأجرة النوتى سيةها واحدا وقا واحدا، يديره اليوم بأكمله.

مادة (٥): إذا أهمل المراكبي وتسبب اهماله في غرق القارب، يدفع تعويض كل ما تسبب في غرقه.

مادة (٦): لو استولى رجل ٠٠٠٠ على قارب (ليس له) يدفع عشر شيكلات من الفضة.

مادة (٧): أجرة الحصاد اثنان سية من الشعير، فإذا دفعت فضة تكون اثنتا عشر قمحة.

مادة (٨): أجرة المذرى سيةها واحدا من الشعير.

مادة (٩): لو دفع شخص شيكلا واحدا من الفضة لرجل على أن يقوم بحصاد زرعه له، لكن (الرجل المستأجر) لم يضع نفسه تحت تصرف الرجل المستأجر له أو لم يكمل الحصاد له، على الأجير أن يدفع عشر شيكلات من الفضة للمستأجر. أما إذا كان قد أخذ سيةها واحدا وخمسة قا من الشعير أجرة له وترك حصص (الشعير) والزيت (و) الكسوة، يطالب برد ما أخذ أيضاً.

مادة (١٠): أجرة الحمار سيةها Seah واحدا من الشعير وأجرة سائسه سيةها واحدا من الشعير أيضاً، يسوقه يوماً بأكمله.

مادة (١١): أجرة الأجير لمدة شهر شيكلا واحدا من الفضة وتكون زوادته بانا pan واحدا من الشعير.

مادة (١٢): كل من يقبض عليه في حقل muskenum أثناء النهار يدفع عشر شيكلات من الفضة، ومن يمسك في الحقل ليلاً يموت؛ لن ينجو بحياته.

قانون لبت عشتار:

ينسب هذا القانون للملك "لبت عشتار" (٥٩) (١٩٣٤-١٩٢٤ق م) خامس ملوك أسرة أيسين، وسجل هذا القانون باللغة السومرية، والنسخة الموجودة من هذا القانون مسجلة على كسر من ألواح الطين وهي غير كاملة، أما النسخة الأصلية فيرجح أنها كانت مدونة على نصب أو مسلة من الحجر مثل قانون حمورابي.

ومواد القانون الموجودة مسجلة على سبعة ألواح، عثر على ستة منها في نيبور، وهي محفوظة الآن في متحف الجامعة بلندن، أما القطعة السابعة ومصدرها غير معروف، فهي حالياً في متحف اللوفر في باريس.

ويتكون قانون "لبت عشتار" من ثلاثة أجزاء رئيسية: مقدمة، ونصوص قانونية وخاتمة. أما النصوص القانونية فهي تالفة في معظمها ولم يتمكن العلماء من استعادة سوى ثمانية وثلاثين من بنودها، وهي تعالج شئون الأراضي الزراعية والحدائق والعبيد، وحالات الاعتداء على الآخرين، وشئون الضرائب، والأحوال الشخصية. (٦٠)

ومن بنود القانون:

٣٤- لو استأجر رجل ثورا (ف) تلم حطم الثور، يدفع ثلث ثمنه (٤).

٣٥- لو استأجر رجل ثورا (ف) عطل عينه، يدفع ربع ثمنه (٤).

٣٦- لو استأجر رجل ثورا (ف) شوه ذيله، يدفع ربع ثمنه (٤).

٣٧- لو استأجر رجل ثورا (ف) كسر قرنه، يدفع ربع ثمنه (٤).

قانون حمورابي: (٦١)

يعتبر حمورابي سادس ملوك الأسرة البابلية الأولى من أشهر ملوك هذه الأسرة وذلك نظراً لشهرة قانونه الذي خلد ذكره وجعله من ملوك العراق القديم المعروفين.

ولقد اختلف المؤرخون في فترة حكم حمورابي فهناك من يضعه في الفترة من ١٧٢٨-١٦٨٦ ق م، وإن كان أصحاب التاريخ المطول يرون أن حكم حمورابي كان في الفترة من ٢٠٠٣-١٩٦١ ق م، وإن كان الأرجح هو الرأي الأول.

هذا ويتكون اسمه من مقطعين الأول: "حمو" وهو أحد الآلهة السامية الغربية، الذي قد يقرأ أيضاً "عمو" أما المقطع الثاني "رابي" فهو يعنى "عظيم" أو "نامي" أو "مكثر" وعل ذلك يكون معنى اسمه الإله حمو عظيم أو نامي أو مكثر. (٦٢)

وقام حمورابي بالعديد من الإصلاحات الإدارية والمعمارية والعسكرية فمن أهم أعماله إعادة تخطيط عاصمته بابل وتنمية التجارة مع أقاليم البحر المتوسط وشق الترعة

⁵⁹ F.R. Steele, in: *AJA*, vol. LII (1948), pp. 425 – 450.

^{٦٠} طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق القديم (بغداد، ١٩٥٥)، ص ٢٩.

⁶¹ A. Demel, *Codex Hammurabi* (1930).

⁶² G.R. Driver, and J.C. Miles, *The Babylonian Laws*, vol I, II, *Legal Commentary*, (1952).

والقنوت لتيسير التبادل التجارى وزيادة رقعة الأراضى الزراعية وفى المجال الخارجى تمكن من كسر شوكة أعدائه التقليديين العيلاميين حتى اعتبر انتصاره عليهم حدثاً خطيراً فى تاريخ العراق القديم.

ولكن تعتمد شهرة حمورابى فى التاريخ على قانونه الشهير الذى بدأ فى إصدار تشريعاته منذ العام الثانى من حكمه، ولقد سجلت هذه القوانين على العديد من النصب أشهرها النصب الذى كتب على حجر الديوريت فى السنوات الأخيرة من عهده.

سجل هذا القانون على لوحة من الديوريت يوجد فى أعلاها نقش بارز للملك حمورابى وهو يتلقى الموافقة من إله العدالة الشمس لكتابة مواد قانونه، وكانت هذه اللوحة قد نقلت إلى العاصمة العيلامية سوسة فى الفترة من ١٢٠٧-١١٧١ ق.م أثناء حكم الملك العيلامى شوترك- ناهونتى Sahutruk- Nahhunte وذلك كغنيمة حرب، ولقد عثرت عليها البعثة الفرنسية للآثار فى شتاء عام ١٩٠١-١٩٠٢م حيث تم نقلها إلى متحف اللوفر فى باريس، ويلاحظ أن جميع المواد القانونية بدءاً من المجموعة ١٦ (٧٧) وحتى نهاية الوجه (من نهاية السطر ٦٥ وحتى نهاية السطر ١٠٠) قد قام العيلاميون بتدميرها، ولكن تم التعرف على محتوياتها من النسخ الأخرى المحفوظة للقانون.

وتتكون المسلة فى الأصل من ٤٤ حقلاً من الكتابة المسمارية، فيما عدا بعض الأجزاء التالفة عمداً فى أسفل الأعمدة الكتابية، ويبلغ ارتفاع المسلة إلى ثمانية أقدام وقطرها قدمين، وقد نقش فى أعلى المسلة صورة بالنحت البارز تمثل إله الشمس (شمس) وهو إله العدل. (٦٣)

وأول من قام بنشر اللوحة الأصلية:

V. Scheil, *Memoires de la Delegation en Parse*, IV, 1920.

وبعد ذلك قام العديد من العلماء بنشرها ونذكر منهم:

- A. Deimel, *Codex Hammurabi* (1930).
- W. Eilers, in: *Der Alte Orient*, Vol. XXXI, (1931).
- G.R. Driver, and John C. Miles, *The Babylonian Laws, I, Legal Commentary* (1952).

ولقد قاما بعد ذلك بنشر ترجمة كاملة للقانون.

- T.J. Meek, "The Asyndeton Clause in The Code of Hammurabi", in: *JNES* V (1946), pp. 64-72.

⁶³ Cf. T.J. Meek, "The Code of Hammurabi", in: *ANET*, pp. 164- 165.

- والترجمة العربية لها فى: عبد الحكيم الذنون، *التشريعات البابلية*، ص ٩٧-١٠١.

دراسات في آثار الوطن العربي ٧

وتتألف شريعة حمورابي من ثلاثة أقسام رئيسية المقدمة والمواد القانونية ثم الخاتمة، ولقد أشار في المقدمة إلى ألقابه وأعماله، وأن ربه مردوك أمره بأن يرشد الناس إلى الطريق المستقيم وأن يحق الحق والعدالة، وأن يدونها بلغة البلاد.

ولقد حاول الدارسون تقسيم قانون حمورابي إلى مجموعات حسب موضوعاتها فمنهم من رأى أنها تقسم إلى ثلاث مجموعات، وتقسيم آخر إلى ثلاثة عشر قسما، وتقسيم ثالث إلى خمس مواد.

ولقد نظم القانون المحاكم وحدد دور القاضي، ونظم أمور التقاضي، كما اهتم بالأحوال الإقتصادية من زراعة وبساتين ومواشى وما يتصل بها من بيع وشراء وإيجار ورعاية، كما نظم أمور التجارة والديون وشئون الملاحة والرهائن وبناء المنازل وشرائها وإيجارها، ونظم القانون كل ما يتصل بالأسرة من أمور وكذلك المحافظة على الأملاك العامة سواء كانت خاصة بالقصر أو المعبد، كما نظم أيضا أمر الخدمة العسكرية وأجور الحرفيين والمهن الحرة وأحوال العبيد.

يقسم قانون حمورابي المجتمع العراقي إلى ثلاث طبقات:

- الطبقة العليا ويسمى الواحد منها "أويل" وهم الأشراف ويتمتعون بحرية كاملة وجميع الامتيازات.
- الطبقة الثانية وتتكون من مواطنين ويسمى الواحد منهم "مشكن" ويمكن أن نسميهم العامة، وكانوا أحرارا ولكنهم يخضعون لقيود قانونية معينة.
- الطبقة الثالثة هي طبقة العبيد ويسمى الواحد منهم "ورد" ولم ينظر إليهم كبشر وإنما كالمتاع يعرفون بأسماء أصحابهم.

توسعت تشريعات حمورابي فيما يتصل بأمر المعاملات التجارية فحددت أجور العمال الزراعيين والنساجين وصانعي الجلود والبنائين وغيرهم وكذلك أجور الأطباء ومراعاة الحالة الطبقيّة والإقتصادية في معاملة المرضى، وكذلك أجور معالجة الحيوانات وتعويضاتها. وحددت التشريعات شروط المشاركة في الزراعة والتجارة وتربية الأغنام والماشية وتعويضاتها، وأجور المراكب تبعاً لحمولتها، وأجور حيوانات النقل والزراعة.

وقد تعرض قانون حمورابي للجنود ومهنتهم

وورد به العديد من المواد المتصلة بشئون الجيش والتي كان الهدف منها معالجة السلبات التي تبلورت من جراء الممارسات العسكرية من اللف الثالث قبل الميلاد نذكر منها: (٦٤)

⁶⁴ Cf. T.J. Meek, "The Code of Hammurabi", in: *ANET*, 166-167.

- ولقد قام بترجمة مواد القانون أو بعضها إلى اللغة العربية العديد من الباحثين والعلماء؛ انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، تاريخ العراق القديم، ص ٢٩٤ وما بعدها؛ عبد الحكيم الذنون، التشريعات البابلية، ص ١، ٢-١٣٤؛ نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم،

المادة (٢٦)- إذا طلب ريديوم أو بايروم للإشتراك في حرب ملكية، ولم يأت، وإنما استأجر أحدا بدلا عنه، فعقوبة الريديوم أو البايروم الإعدام، أما البديل فإنه يحجز في بيته ويحتفظ به.

وكان الريديوم جندي مسلح بينما البايروم فكان قناصا مسلحا بالقسي والسهام، بينما يرى البعض أن الريديوم كان جندي جوال بينما البايروم تعنى صياد السمك وهو أدنى مرتبة من الجندي الجوال، وكان الصيادون من مستخدمي الملك.

المادة (٣٠)- إذا أهمل الريديوم أو البايروم حقله وحديقته وبيته بسبب صعوبة أداء واجبه وظل غائبا، وتملك شخص آخر أثناء غيابه حقله وحديقته وبيته، وقام بواجبه ثلاث سنوات، ثم عاد وطالب بحقله وحديقته وبيته، فلا يعاد له ذلك، بل يحتفظ به الشخص الآخر الذي أخذه وقام بواجبه، وعليه أن يستمر بالقيام بهذا الواجب.

المادة (٣١)- فإن غاب لمدة سنة واحدة فقط ثم عاد، يرد له حقله وحديقته وبيته، ويؤدى التزاماته الإقطاعية بنفسه.

وفيما يختص بنصوص مواد المهن الطبية : (٦٥)

المادة (٢١٥) - إذا أجرى طبيب عملية جراحية كبيرة بسكين من البرونز لرجل وانقذ (حياة) هذا الرجل او فتح له خراجا وانقذ عينه، فيحصل الطبيب على ١٠ شقل من الفضة أجره.

المادة (٢١٦) - إذا كان طفل رجل من العامه ، فيحصل الطبيب على ٥ شقل من الفضة.

المادة (٢١٧) - إذا كان عبد رجل ، فعلى صاحب العبد ان يعطى الطبيب ٢ شقل فضة.

المادة (٢١٨) - إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين من البرونز لرجل وسبب ذلك موت الرجل ، او فتح خراجا بسكين برونزية لرجل وخرّب عينه ، فعقوبته قطع يده.

المادة (٢١٩) - إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين برونزية لعبد رجل وسبب موته فعليه ان يعوض عليه عبدا بعد.

المادة (٢٢٠) - إذا فتح له خراجا بسكين برونزية وخرّب له عينه ، فعليه ان يزن نصف ثمنه فضة.

المادة (٢٢١) - إذا اصلح طبيب عظما مكسورا لرجل وعالج له عسبا مريضا وتعافى، فعلى المريض ان يعطيه ٥ شقل فضة.

المادة (٢٢٢) - إذا كان هذا ابن رجل من العامة فعليه ان يعطى الطبيب ٣ شقل فضة.

المادة (٢٢٣) - إذا كان هذا عبد رجل فعلى صاحب العبد ان يعطى الطبيب ٣ شقل فضة.

المادة (٢٢٤) - إذا أجرى طبيب بيطرى عملية جراحية كبرى لثورا او حمارا وانقذه فعلى صاحب الثور او الحمار ان يعطيه أجره من الفضة ما يعادل سدس ثمن شراء الحيوان.

الجزء الرابع، الحضارة المصرية، ص ٥٣-٨١ ؛ البريشت جونز (آخرون)، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراس (دمشق، ١٩٢٣).

^{٦٥} أحمد سليم، حضارة العراق القديم، ص ٣٠٢.

المادة (٢٢٥) - وإذا أجرى عملية جراحية كبرى لثور أو حمار وسبب موته فعليه ان يعطى صاحب الثور أو الحمار ربع الثمن.

أما فيما يختص بنصوص مواد مهنة البناء: ^(٦٦)

المادة (٢٢٨) - إذا شيد بناء لرجل بيتا، فعلى الرجل ان يدفع له اجرا هو ٣ شقل من الفضة عن كل مساحة قدرها سار واحداً من البيت.

المادة (٢٢٩) - إذا شيد بناء بيتا لرجل ، ولم يتقن عمله وانهار البيت الذى بناه وسبب موت صاحب البيت فيجب ان يقتل هذا البناء.

المادة (٢٣٠) - إذا سبب موت ابن صاحب البيت ، فيجب ان يقتل ابن البناء.

المادة (٢٣١) - إذا سبب موت عبد صاحب البيت ، فعليه ان يعطى صاحب البيت عبدا عوضا عنه.

المادة (٢٣٢) - إذا خربت بسبب ذلك املاك وحاجيات ، فعليه ان يعوض كل ما سبب بخرابه وعليه ان يعيد بناء البيت على حسابه الخاص ، لان عمله لم يكن متقنا.

المادة (٢٣٣) - إذا شيد بناء لرجل بيتا ولكن عمله لم يكن متقنا بحيث تداعت احدى اركانه ، فعلى البناء ان يعيد تدعيم الجدار من حسابه الخاص.

أما فيما يختص بمهنة صناعة السفن وإدارتها وتسييرها: ^(٦٧)

المادة (٢٣٤) - إذا صنع مراكبى هيكل سفينة لرجل ما سعتها ٦٠ كورا ، فعلى هذا الرجل ان يدفع له اجرا مقداره ٢ شقل من الفضة.

المادة (٢٣٥) - إذا صنع مراكبى سفينة لرجل ما وكان مهملا فى عمله ، بحيث تفكك احد اقواسها خلال نفس السنة او ظهر خطأ فى ذلك ، فعلى المراكبى ان يفكك السفينة على حسابه الخاص وان يصنع (سفينة) قوية ويسلمها لصاحبها.

المادة (٢٣٦) - إذا اجر رجل سفينة لبحار ، وكان البحار مهملا وغرقت السفينة او تحطمت ، هكذا على البحار ان يعوض لصاحب السفينة سفينة بدلا عنها.

المادة (٢٣٧) - إذا استأجر رجل سفينة وبحارا وحمل السفينة حبوبا او اصوفا او زيتا او خمورا او اشياء اخرى ، وكان البحار مهملا فغرقت السفينة ، ودمرت حمولتها ، فعلى البحار ان يعوض (للرجل) السفينة التى غرقت وما دمر فيها.

المادة (٢٣٨) - إذا اغرق بحار سفينة رجل ما ولكنه تمكن ان ينتشلها، فعليه ان يدفع من الفضة ما يعادل نصف ثمنها.

المادة (٢٣٩) - إذا استأجر رجل بحارا ، فعليه ان يعطيه فى السنة ٦ (كور من الحبوب).

المادة (٢٤٠) - إذا اصطدمت سفينة مبحرة مع التيار ، بسفينة مبحرة بعكس التيار واغرقتها ، فعلى صاحب السفينة الغارقة ان يذكر امام الاله ما غرق مع سفينته وعلى صاحب السفينة المبحرة مع التيار، التى اغرقت السفينة المبحرة بعكس التيار، ان يعوض له كل ما غرق له.

^{٦٦} أحمد سليم، حضارة العراق القديم، ص ٣٠٣.

^{٦٧} أحمد سليم، حضارة العراق القديم، ص ٣٠٣-٣٠٤.

أما فيما يختص بنصوص مواد الرعي واستئجار المواشي: (٦٨)

المادة (٢٤٢ - ٢٤٣) - إذا استأجر رجل ماشية لمدة سنة واحدة ، فعليه ان يدفع لصاحب المشاية (٤ كور من الحبوب) اجرة حيوان الجر ، (٣ كور من الحبوب) اجرة ثور الشد الصغير.

المادة (٢٤٤) - إذا استأجر رجل ثوراً أو حمار وافترسه اسد في العراق ، فعلى صاحبه لوحده ان يتحمل الخسارة.

المادة (٢٤٥) - إذا استأجر رجل ثوراً ومات الثور بسبب اهماله أو جلده له ، فعليه ان يعرض لصاحبه ثوراً بديلاً.

المادة (٢٤٦) - إذا استأجر رجل ثوراً وكسر حافره او جرحه في عضل رقبتة ، فعليه أن يعرض لصاحب الثور ثوراً بديلاً.

المادة (٢٤٧) - إذا استأجر رجل ثوراً وخرّب له عينه ، فعليه ان يعطى صاحب الثور ما يعادل نصف ثمنه من الفضة.

المادة (٢٤٨) - إذا استأجر رجل ثورا وكسر له قرنه او قص له ذيله او اصاب لحم ظهره فعليه ان يعطى (لصاحبه) ما يعادل خمس ثمنه فضة.

المادة (٢٤٩) - إذا استأجر رجل ثورا ولن الاله ضربه وسبب موته فعلى الرجل الذى استأجره ان يقسم بالاله ويصبح بذلك حراً.

المادة (٢٥٠) - إذا نطح ثور بقرنيه ، عند اقتياده في الشارع ، رجلا وسبب موته ، هكذا لا يجوز المطالبة بالتعويض قضائياً.

المادة (٢٥١) - إذا (عرف) ثور رجل (بعادة) النطح ، وقال له مجلس المدينة " انه ينطح " ولكنه لم يخفف من قرنيه ولم يربطه ، ثم نطح هذا الثور ابن رجل ما وسبب موته ، فعليه ان يدفع نصف مينة من الفضة.

المادة (٢٥٤) - إذا اخذ الحبوب ، أو أجهد الثيران ، فعليه ان يعرض بمقدار ضعف ما اخذه من حبوب البذور.

المادة (٢٥٥) - إذا سلم رجل ماشية مقابل اجرة او سرقة البذور وسبب في عدم انبات شيد في الحقل فيجب اثبات ذلك وعليه عندئذ ان يكيل في موسم المحصول ٦٠ كورا من الحبوب لكل ١٨ اكو.

المادة (٢٥٦) - وإذا لم يستطع ان يسدد ما تكفل به ، فعلى المرء ان يجره بالثيران على الحقل.

أما فيما يختص بمهنة الزراعة: (٦٩)

المادة (٢٥٧) - إذا استأجر رجل مزارعا فعليه ان يعطيه ٨ كور من الحبوب في السنة.

المادة (٢٥٨) - إذا استأجر رجل راعي غنم فعليه ان يعطيه ٦ كور من الحبوب في السنة.

^{٦٨} أحمد سليم، حضارة العراق القديم، ص ٣٠٤-٣٠٥.

⁶⁹ Cf. T. J. Meek, "The Code of Hammurabi", in *ANET*, pp. 177-179.

المادة (٢٥٩) - إذا سرق رجل محراثا في الحقل فعليه ان يعطى صاحب المحراث ٥ شقل من الفضة.

المادة (٢٦٠) - إذا سرق رجل اداة البذور او تقليب الارض فعليه ان يعطى ٣ شقل من الفضة.

المادة (٢٦١) - إذا استأجر رجل راعي ليرعى ماشية او غنما ، فعليه ان يعطى ٣ شقل من الفضة.

المادة (٢٦٨) - إذا استأجر رجل ثورا للدراسة ، فتكون اجرتة (٢٠ كا) من الحبوب.

المادة (٢٦٩) - إذا استأجر حمارا للدراسة ، فتكون اجرتة (١٠ كا) من الحبوب.

المادة (٢٧٠) - إذا استأجر عنزة للدراسة ، فتكون اجرتها (١ كا) من الحبوب.

المادة (٢٧١) - إذا استأجر رجل ثيرانا وعربة وسائقها ، فعليه ان يدفع اجرة مقدارها (٣ بي) في اليوم الواحد.

المادة (٢٧٢) - إذا استأجر الرجل العربة فقط ، فعليه ان يدفع اجرة قدرها (٤٠ كا) في اليوم الواحد.

وفيما يختص بالحرف المتنوعة: (٧٠)

المادة (٢٧٣) - إذا استأجر رجل مستخدما فعليه ان يدفع منذ بداية السنة حتى الشهر الخامس (٦ جران) فضة في اليوم الواحد.

المادة (٢٧٤) - إذا استأجر حرفيا (ابن حرفي) فعليه (لـ) ٥ جران فضة ولصانع الطوب ؟ ٥ جران فضة لعامل النسيج؟ ٠٠٠ (جران) فضة ، وللصانغ ٠٠٠ (جران) فضة ، وللحداد ٠٠٠ (جران) فضة ، وللنجار ٠٠٠ ٤ (جران) فضة ، للدباغ (٠٠٠) جران فضة ، ولصانع السلاسل (٠٠٠) جران فضة ، وللبناء (٠٠٠) جران فضة كأجر عن كل يوم .

المادة (٢٧٥) - إذا استأجر رجل قاربا طويلا ، فأجرتة ٣ جران فضة في اليوم الواحد.

المادة (٢٧٦) - إذا استأجر رجل قارب تجديف، فعليه ان يدفع ٢٠٥ جران فضة في اليوم الواحد.

المادة (٢٧٧) - إذا استأجر رجل سفينة (طاقتها الاستيعابية) ٦٠ كورا فعليه ان يدفع سدس شقل فضة اجرتها اليومية.

ومن أهم ما يعاب على تشريعات حمورابي هو اعترافها بالتفاوت في الحقوق والعقوبات بين الطبقات فهي وإن استحدثت مبدأ العين بالعين والسن بالسن (المادة: ١٩٦) والولد بالولد، إلا أنها أقصرت تطبيقه وأمثاله على أفراد الطبقة الواحدة ولمصلحة الطبقة العليا بخاصة بينما قضت بالتعويض المادى وحده جزاء اعتداء أحد أفراد الطبقة العليا على فرد من طبقة أخرى أقل منزلة من طبقته. كان قانون حمورابي قاسيا في

⁷⁰ Cf. T. J. Meek, "The Code of Hammurabi", in *ANET*, p. 188.

توقيع العقوبات ولم يعترف للفرد بأية حقوق قبل الدولة، كما كان المجتمع مقسما إلى ثلاث طبقات فكان الناس غير متساوين بحكم القانون:

- فإذا أهمل معمارى فى عمله وانهار المنزل الذى بناه على ابن صاحبه قتل

ابنه .

وإذا أدت العملية الجراحية إلى وفاة مريض حر أو إلى ذهاب نور عينه قطعت يد الطبيب (وليس ما يعرف أن كان ذلك مشروطا بإهمال الطبيب أم لا)، فإذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بعبد مثله وعن عينه بنصف ثمنه من الفضة (المواد: ٢١٨-٢١٩).

المادة (١٧) من القوانين الآشورية القديمة: (٧١)

"إذا كان لآبد من جلب المياه من بئر إلى أرض مستغلة، فيجب أن يتعاون أصحاب الحقول بهذا الصدد، على كل منهم أن يقوم بالأعمال الخاصة به على أرضه ويسقى أرضه، وإذا لم يتم الاتفاق فيما بينهم، فعلى الموافق للقيام بالأعمال من بينهم، أن يوصل القضية إلى القضاة، وأن يحصل على وثيقة من القضاة وينفذ العمل وأنه يستطيع أن يأخذ المياه لنفسه ويروى حقله، ولا يحق لأى شخص آخر أن يروى (حقله).

أدب الحكمة : (٧٢)

عثر فى بلاد الرافدين على الكثير من اللوحات المتصلة بأدب الحكم والأمثال والنصائح، فلقد تم التعرف على ما يقرب من سبعمائة لوحة وقطعة تتصل بالحكم السومرية، ولم يكن من الميسور تحديد معظمها قبل ١٩٥٣.

وضمت هذه اللوحات مجموعات الحكم، وكان بعضها يضم أحيانا حكمة واحدة، وقد رتبنا بعض هذه الحكم طبقا لعلامات فى بدايتها، وأحيانا تسجل الحكم التى تعالج موضوعا واحدا بجوار بعضها، وقد تم الكشف كذلك عن ما يقرب من عشرين لوحة وقطعة ترجع إلى العصر السومرى والأكدى وجدت فى مكتبة الملك آشور بانبيال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) فى نينوى القديمة، وبالإضافة إلى هذه اللوحات، فقد نشرت لوحتين من الحكم الأكدى التى عثر عليها فى بوزغاز كوى والتى يرجح أنها ترجع إلى عهد الملك سرجون الثانى (٧٢١-٧٠٥ ق م) فى آشور . هذا وقد وردت أحيانا حكم مفردة فى نصوص الأدب السومرى والأكدى، وفى خطابات مارى وتل العمارنة وبصفة خاصة فى عصر الامبراطورية الآشورية الحديثة. كما يوجد حاليا بالمتحف البريطانى من لوحات الحكم التى ترجع إلى عصر الامبراطورية الآشورية الحديثة والدولة البابلية الحديثة.

٧١ أحمد سليم، حضارة العراق القديم، ص ٣١٥.

٧٢ أحمد سليم، حضارة العراق القديم، ص ٤٣٢-٤٣٣.

وجاءت بعض هذه الحكم والأمثال مزدوجة اللغة، وتراوحت طريقة التعبير ما بين التعبير الواقعي الصرف والرمزية الرفيعة، وتراوحت طريقة كتابتها ما بين الشعر والنثر. ومما يقال عنها بصفة عامة، أنها مثل أقرانها في آداب الشعوب الأخرى، يصعب فهم الكثير منها حتى لو كانت مفهومة من الناحية اللغوية، لأنها عبارة عن جمل قصيرة مقتضبة ومركزة المعنى وتعبر عن تجارب وحالات خاصة في حياة المجتمع، كما أن الكثير منها نشأ من واقائع أو حوادث قيلت فيها تلك الأمثال والحكم والنصائح. ومما هو منصوص عليه فيما يختص بالقروض حوار بين السيد والعبد: (٧٣)

السيد : عزمت على أن أقرض الناس وأساعدهم.

العبد : أفعل يا سيدي، أفعل لأن من يقرض الناس تبقى حنطته خالصة ويكون ربحه عظيما.

السيد : لا أيها العبد، لن أقرض الناس.

العبد : لا تفعل يا سيدي، لا تفعل. إن من يقرض الناس كمن يحب امرأة... فاسترجاعها أمر عسير مثل ولادة طفل، ثم انهم سيأكلون حنطتك وينزلون عليك لعناتهم دون هوادة ويحرمونك من الفائدة على حنطتك.

السيد : اسمعنى أيها العبد.

العبد : أجل يا سيدي، انى مصغ إليك.

السيد : أريد أن أساعد بلادى.

العبد : أفعل يا سيدي إن من يساعد بلاده... توضع حسناته أمام الإله مردوخ.

السيد : لا أيها العبد، لن أساعد بلادى.

العبد : لا تفعل يا سيدي، لا تفعل. اصعد فوق الأطلال القديمة وتمشى هناك، وانظر إلى جماجم الأسبقين واللاحقين فأيهم الأشرار وأيهم الأبرار.

السيد : اسمعنى أيها العبد.

العبد : أجل يا سيدي، انى مصغ إليك.

السيد : إذا مهو الخير فى هذه الدنيا؟

العبد : أن يدق عنقى وعنقك ونرمى فى النهر، ذلك هو الخير فى الدنيا ترى من يستطيع أن يطاول السماء، ومن يستطيع أن يحتوى العالم السفلى.

السيد : أيها العبد، إنى سافقتك، وأدعك أولا... ٠٠٠

العبد : إن سيدي لن يستطيع العيش من بعدى حتى لو كان ذلك لثلاثة أيام.

كما أن مختلف نصوص العراق القديم -ومن بينها ما جاء في نص "آشور بانيبال"^(٧٤) - أكدت على العديد من جوانب أخلاقيات المهن والحرف. فبالإضافة إلى ما سبق ذكره أعلاه خاصة ما ورد بخصوصها في قانون حمورابي (فيما يخص مهن الطب والبناء والجنود والقضاء... الخ)^(٧٥)، فإنه كان هناك تحذير من رشوة المدرس^(٧٦)، وما

⁷³ Lambert, W.G., *Babylonian Wisdom Literature* (1960), p. 139.

⁷⁴ Cf. Roux, Georges, *Ancient Iraq*, Penguin Books, 3rd Edition (London, 1992), 339 ff.

⁷⁵ Cf. Roux, G., *Ancient Iraq*, p. 205 sq.

⁷⁶ Cf. Roux, Georges, *Ancient Iraq*, p. 223.

يتعلق بأخلاقيات تاجر النحاس^(٧٧)، والحث على تحصيل العلوم والاهتمام بوظيفة وطبقة الكتبة وأهميتهم^(٧٨) مثلما هو جلي أيضاً في أدب ونصوص ومناظر مصر القديمة.

⁷⁷ Cf. Roux, G., *Ancient Iraq*, p. 223-224.

⁷⁸ Cf. Roux, G., *Ancient Iraq*, p. 355 ff.